مركز الكلمة للأبحاث والدراسات
قضايا لاهوتية وكتابية

إله العهد القديم
و إله العهد الجديد

د.ق. عزت شاكر

جميع الحقوق محفوظة

٢٠٢٤

إله العهد القديم
وإله العهد الجديد

د. ق عزت شاكر

تقديم

يوصف عصرنا بأنه عصر انفجار المعلومات، وقد ساعدت السوشيال ميديا على انتشار هذه المعلومات بسرعة مذهلة.

وقد مر عالمنا عمومًا وبشكل خاص منطقتنا – الشرق الأوسط – بأحداث كثيرة وكبيرة وخطيرة غيرت أو كادت أن تغير شكل وحال المنطقة، بدايةً من الفوضى الخلاقة وأحداث ما سُمي بالربيع العربي، وما نتج عنهما من صعود تيار الإسلام السياسي وهجرة المسيحيين حتى أنه يقال إن نسبتهم أصبحت ٣٪ بعد أن كانت ٤١٪، بالإضافة إلى ما أصاب العالم من جائحة كورونا وتوابعها الصحية والاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب ارتفاع نسبة الإلحاد في المنطقة العربية، حيث تقول إحدى الإحصائيات إن نسبة الإلحاد في بعض الدول العربية قد وصلت إلى ٦٣٪.

هذه الأحداث وغيرها أدت فيما أدت زيادة التشويش الذهني للمواطن العربي عمومًا والمسيحي خصوصًا والذي يعيش في مجتمع متعدد الثقافات يحاول تشكيل قيمه ومبادئه بحسب هذه الثقافات، والتي تكون أحيانًا مخالفة لما يؤمن به ويعتقد فيه.

وهذه السلسلة من الكتيبات هي بمثابة محاولة لمعالجة بعض القضايا الفكرية اللاهوتية والاجتماعية من منظور مسيحي كتابي.

ونرجو أن تنجح هذه المحاولات في إزالة حالة التشويش والحيرة التي أصابتنا.

في هذا الكتاب، إله العهد القديم وإله العهد الجديد، يناقش الدكتور القس عزت شاكر، هذه الإشكالية الجديدة القديمة، والتي تطل علينا برأسها من حين إلى آخر من على منابر الكنائس، وفي كتابات البعض. يناقش الفصل الأول تاريخ هذه البدعة، والفصل الثاني بعنوان أرفض أن أعبد إلهًا عنصريًا، وفي الفصل الثالث يأخذنا المؤلف في رحلة عن من هو إله العهد القديم، ويناقش في الفصل الرابع إشكالية حروب سفر يشوع.

والمركز يتقدم بخالص الشكر والتقدير للفاضل الدكتور القس عزت شاكر، لهذا الجهد المتميز في هذا الكتاب، والكتابات الأخرى التي أثرت المكتبة العربية.

د. ثروت صموئيل – مدير مركز الكلمة

الفصل الأول

إله العهد القديم وإله العهد الجديد

بدعة قديمة

إن عبارة "إله العهد القديم" عبارة مُضَلِّلة لأنها تفترض وجود إله آخر للعهد الجديد، وهذه كانت بدعة خطيرة اسمها الماركيونيَّة ظهرت في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي على يد ماركيون (Marcion) ابن أسقف سينوب بآسيا الصغرى.

وكرر نفس هذا الكلام في العصر الحديث د. سيد القمني فيقول: "في رحلة الخروج أو الهروب.. يسجل اليهود في توراتهم أبشع صور الوحشية، فيأتون على كل ما يقابلهم في الطريق ذبحًا وتحريقًا، ولم يَسلَم من أذاهم لا الإنسان ولا الحيوان ولا حتى نبات الأرض، بعد أن قرَّرته الشريعة الربانية وأباحته إباحة مُطلقة، وأسفر الرب العبراني آنذاك عن هويته بوضوح فأعلن أنه "الرب رجل الحرب" (خر١٥: ٣).

ووصف الدكتور القمني إله التوراة بأنه "إله مُرعب دراكولي" يختلف تمامًا عن إله المحبة والسلام ومسيح الأناجيل"[١]

في الحقيقة عندما نقول "إله العهد القديم" و"إله العهد الجديد" فهذا يعني أحد هرطقتين؛ إما يعني أنه حدث تغير في طبيعة الله، أي كان دمويًا عنيفًا في العهد القديم ثم تغير وأصبح رحيمًا ومحبًا في العهد الجديد.

أو يعني أننا نؤمن بإلهين كما كان شائعًا في الحضارات القديمة؛ الفرعونية واليونانية والفارسية، حيث يخلق إله الخير كل ما يتصف بالخير والجمال، في حين يكون إله الشر هو المسؤول عن كل ما في العالم من آلام وشرور.

ففي الحضارة الفرعونية نجد أسطورة "حورس" و"ست" من أشهر الأساطير في تاريخ البشرية، والتي تُظهِر الصراع بين الخير والشر، وكيف انتصر الخير في النهاية. "ست" هو أحد الآلهة المصرية القديمة، وهو إله العنف والشر في مصر القديمة حيث قتل أخاه "أوزيريس" ودارت بينه وبين "حورس" عدة معارك انتهت بانتصار الخير "حورس".

وكان الفارسيون يؤمنون قديمًا بـ "أهورا" إله الخير و "أهريمان" إله الشر. وكان الشعب الفارسي يعبد "أهورا" إله الخير لكي يمنحه الخير، ويعبد "أهريمان" إله الشر لكي يتقي شروره. ولذلك نرى الرب عندما كان شعبه في السبي وقت الفارسيين يؤكد على الوحدانية في أكثر من عبارة في أصحاح واحد (إش٤٥) فيقول: "لاَ إِلَهَ سِوَايَ" (عدد ٥)، "لَيْسَ غَيْرِي" (عدد ٦)، "أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ" (عدد ٦ و١٨ و٢١)، "أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرَ" (عدد ٢٢).

لقد أراد الله أن يعلن لهم أنه لا يوجد إله للخير وإله للشر، فلا يوجد إله سواه مسيطر على كل الكون، وكل ما يحدث فيه من خير وشر، ولا يوجد شيء يحدث بعيدًا عن دائرة سلطانه.

---

[١] سيد القمني. الأسطورة والتراث، ص ١٩٤، ١٩٦، ٢٣٠.

إن كتابنا المقدس يعلن أن الله هو هو أمس واليوم وإلى الأبد لا يعتريه تغيير ولا ظل دوران.

فنحن نؤمن بإله واحد مثلث الأقانيم (الآب والابن والروح القدس) منذ الأزل وإلى الأبد "الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ" (يع١: ١٧). ثالوث في ذاته وليس في إعلانه.

لذلك فالاعتقاد بأن إله العهد الجديد يختلف عن إله العهد القديم بدعة خطيرة، فمن هو ماركيون؟ وما هي قصته؟

من هو ماركيون (Marcion)؟

وُلِد ماركيون حوالي عام ١٢٠م في مدينة سينوب التي تقع علي البحر الأسود في تركيا، من أسرة مسيحية ثرية تحتل مركزًا اجتماعيًا مرموقًا، وكان أبوه أسقفًا للمدينة. وبرغم انتمائه للفلسفة الغنوسية وميله إلي حياة التقشف، إلا أنه عندما شب عمل بالتجارة، فكان تاجرًا ناجحًا يملك أسطولًا من المراكب تعمل في نقل البضائع، واستطاع أن يكوِّن ثروة كبيرة من عمله التجاري.

وتذكر المصادر الآبائية أن ماركيون كان في خلاف دائم مع والده حول مسائل عقائدية. وكان على علاقة غير شرعية مع إحدى الفتيات، مما جعل والده يقوم بحرمه من الكنيسة. فسافر إلى روما عام ١٤٠م وانضم لكنيستها، وأظهر هناك نشاطًا كبيرًا في الخدمة، ولكنه أظهر أيضًا تعاليم غير مستقيمة مما دفع الكنيسة هناك لحرمه عام ١٤٤م. فأسس ماركيون كنيسة خاصة به، وجعل فيها نفس الوظائف الكنسية، وانضم إليه عدد كبير من الأتباع بسبب نشاطه، واستخدام أمواله في جمع الأتباع، ونجح في ذلك، فصارت كنيسته وعقيدته مصدر قلق للكنيسة لقرون عديدة.

ماركيون وإله العهد القديم:

قبل الحديث عن فكر ماركيون أود أن أذكر نبذة مختصرة عن الغنوسية التي تأثر بها وبنى عليها مذهبه، وإن خالفهم في بعض الجزئيات.

يري الغنوسيون أن المادة شر محض، لذلك لا يتعامل الله معها، حتى الكون لم يخلقه بنفسه، بل أخرج من نفسه أيونات كثيرة منها اللوجوس، ومن خلال اللوجوس خلق كل شيء، وهو الوسيط بين الإله والناس، فهو أقدم الموجودات، أما روح الإنسان، فيرون أنها سماوية الأصل، ولكن لأن الأرواح ارتكبت خطيئة في السماء عوقبت بالسجن في الجسد، وبحسب الغنوسيين، أرسل الإله منقذًا يدلها على أصلها السماوي، فمن عرف ذلك نال الخلاص، وهذا المنقذ ذاته ليس جسدًا، بل اتخذ جسدًا وهميًا، فمن نال منه المعرفة نال الخلاص ويرجع إلى أصله السماوي.

ولقد نظرت الفلسفة الغنوسية لإله العهد القديم على إنه المقاوم والضد للإله الحقيقي، ورأى الغنوسيون أن تصرفات آدم وحواء بالأكل من الشجرة، وقتل قايين لهابيل، وفساد سدوم وعمورة صور إيجابية لأنها موجهة ضد إله العهد القديم.

ويقول د. القس حنا الخضري: "إن نفوذ الغنوسية لم يكن مؤثرًا فقط على العالم، بل الكنيسة نفسها، وكانت تربة الكنيسة مهيأة لنمو الغنوسية فيها لأن معظم أعضاء الكنيسة سواء كانوا يونانيين أو رومانيين، تثقفوا بالثقافة اليونانية الغنوسية[٢]. ولقد أراد هؤلاء المسيحيين الاحتفاظ باعتقاداتهم الغنوسية والوثنية[٣].

---

[٢] حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي. ج٤، ص٤٧٥.

[٣] المرجع السابق، ص ٤٧٦.

ولقد تأثر ماركيون بالغنوسية جدًا، لذلك عندما وجد صعوبة في التوفيق بين نصوص العنف في العهد القديم التي تأمر بقتل الشيوخ والأطفال والنساء، وبين النصوص التي تأمر بالرحمة في العهد الجديد، ومحبة الأعداء، ومباركة اللاعنين، وتحويل الخد الآخر، فتساءل:

كيف يكون حنونًا ومنتقمًا في نفس الوقت؟

كيف يكون ديانًا ومُنعِمًا في نفس الوقت؟

كيف يأمر بقتل الأطفال في العهد القديم وفي نفس الوقت يضع يده على رؤوسهم ويباركهم في العهد الجديد، لا يمكن أن يكون هو نفس الإله.

وخرج ماركيون من هذه الدوامة بنوع غريب من الثنائية إذ علَّم بوجود إلهين؛ أحدهما عادل وقاسي وهو إله العهد القديم، والآخر محب وهو إله العهد الجديد، وقال:

إن إله العهد القديم هو خالق الشر[٤] (إش٤٥: ٦، ٧)، بينما إله العهد الجديد هو صانع الخيرات.

إله العهد القديم قاسي دفع بالدببتين لافتراس ٤٢ صبيًا صغيرًا لأنهم عيَّروا نبيه أليشع (١مل٢: ٢٣-٢٥)، بينما إله العهد الجديد تكلم في المسيح قائلًا: "دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ.. لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت١٩: ١٤).

إله العهد القديم مسئول عن كل الشر الذي في العالم (عا٣:٦)، وهو الإله الذي أعطى الناموس وكل بلاويه، فلا يمكن أن يكون هو نفسه المخلِّص. فكان يعلِّم بوجود إلهين:

١- الإله الخالق: الذي خلق العالم، وهو أقل درجة من الإله الصالح، وهو إله إسرائيل، اختار اليهود شعبًا له، وأعطاهم الناموس والأنبياء، وترك بقية الشعوب فريسة للوثنية والمادية. ومع إنه إله بار إلاَّ أنه إلهًا قاسيًا، سريع الغضب والانتقام، يحارب ويسفك دماء أعدائه بلا رحمة، ويعاقب بقسوة الذين تعدُّوا الناموس، وهو السبب في كل الحروب، وهو إله كل شر.

يقول العلامة ترتليانوس في كتابه (ضد ماركيون) "إن مفهوم ماركيون لإله العهد القديم إنه قاض قوي وعادل، ولكنه غضوب وقاسي ومتغيّر وضيق الأفق، ويقول عن نفسه إنه خالق الشر، أي الكوارث". ولذلك فقد ادَّعى ماركيون أن إله العهد القديم لا يمكن أن يكون هو نفسه يسوع المسيح إله الرحمة.

٢- الإله الفادي: وهو أعظم من إله اليهود، هو الإله الصالح المحب الحنون، إله العهد الجديد، إله المسيحيين السامي، وهو الذي يسكن في السماء الثالثة، ولا صلة له بالعالم لأنه منفصل عن المادة، ولم يخلق العالم، ولم يكن أحد يعرف عنه شيئًا، إلى أن ظهر يسوع المسيح فجأة ليعلن عنه، ففي السنة الخامسة عشر من حكم الإمبراطور طيباريوس قيصر ظهر هذا الإله الفادي في شخص السيد المسيح ليخلص الناس من الشر، وقد حرَّك إله اليهود أتباعه لصلبه، وبعد الموت بالصليب ذهب مباشرة إلى الهادس لإعلان الإنجيل للوثنيين ولأسرى الإله اليهودي، وبعد أن بشَّرهم صعد إلى السماء مباشرة بدون قيامة على الأرض، وفي اليوم الأخير سيحكم على إله اليهود، ويطرحه في الهادس.[٥]

---

[٤] لمعرفة الرد على معنى: خالق الشر، وصانع البَلِيَّةٌ، وأليشع والدببتين، راجع للمؤلف كتاب: إله العهد القديم إله الدماء.

[٥] حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي. ج٤، ص٤٧٩.

ماركيون والمسيح:

كان ماركيون يعتقد أن الإله السامي المحب قد أَظهَر نفسه في يسوع "المسيا" الذي أرسله إله اليهود، فنزل الإله السامي المحب بنفسه على يسوع في وقت المعمودية، وهذا هو التجسد. فلم يكن ماركيون يعتقد بميلاد المسيح، ولا نموه من طفولة إلى رجولة، بل ظهر ظهور فجائي في شكل جسدي، ولكنه ليس جسدًا حقيقيًا، وإنما كان يُظهِر نفسه للناس في شكل جسدي، لأن الله السامي لا يتعامل مع المادة، وعندما ظهر أعطى البشارة للمسيحيين، وقد حررت البشارة الناس من قسوة الناموس، وهذا أغضب إله اليهود فأثار اليهود ضد المسيح لقتله، لكن ليس ذلك شرًا من إله اليهود، وإنما تشددًا وتعصبًا للشريعة التي يجب أن لا تُخَالَف.

كان ماركيون يرى أن يسوع المسيح جاء ليخلص الإنسان، ولكنه رفض أن يكون يسوع هو المسيح الذي بشر به إله اليهود في العهد القديم. وقال إن المسيح جاء ليزيل كل الشر الذي تسبب به إله اليهود، الذي اعتبره ماركيون إله العدالة والدينونة، بينما المسيح عنده هو ظهور لإله المحبة المختص بالخلاص، والعدالة مناقضة للنعمة ولا يمكن أن تصدر من مصدر واحد.

التجسّد عند ماركيون مجرد مظهر لأنه لا يؤمن باتصال ما هو مادي بما هو إلهي، لأن المادة شر. والذي تجسّد في يسوع المسيح هو الله نفسه وليس ابنه الكلمة الأبدي.

وقد احتقر ماركيون الجنس، ورفض تعميد المتزوجين، لأن الزواج من أمور هذا العالم الذي خلقه الإله القاسي، وبناء عليه يجب السمو عن هذا العالم المادي وما في المادة من شر، ويكون السمو عن العالم بالترفع عن الزواج، وممارسة حياة التقشف.

ماركيون والكتاب المقدس

بسبب نظرة ماركيون الخاطئة لإله العهد القديم، رفض أسفار العهد القديم رفضًا كليًا، لأنها في نظره هي وحي من إله اليهود القاسي المنتقم وليست وحيًا من الإله المحب السامي، ووضع ماركيون كتابه "المتناقضات" الذي سجل فيه اعتراضاته، وقال: إن إله العهد القديم هو خالق الشر، بينما إله العهد الجديد هو صانع الخيرات.

وشدَد ماركيون على التعارض بين أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد، وجعل الإنجيل منفصلًا انفصالًا تامًا عن أسفار العهد القديم. وقال: إن الشريعة القديمة تلفت انتباهنا إلى العدالة والقساوة والعنف، بينما الشريعة الجديدة إلى الحب والرحمة والحرية. فهل يُعقَل أن تأتي الشريعتان من إله واحد، كلاَّ! فالشريعة الجديدة مصدرها إله المحبة الذي ظهر لنا في يسوع المسيح[٦].

لقد كانت المعارضة واضحة بين يسوع والعالم اليهودي، وهذا دليل على المعارضة بين نظامين وعهدين وشريعتين وإلهين. ولقد جاء يسوع ليحرّر الناس من النظام الأول والعهد الأول والشريعة الأولى"[٧].

ويقول د. القس حنا الخضري: أما موقفه من العهد الجديد فلم يتمسك إلا بعشر رسائل من رسائل بولس الرسول، وحذف كل الكتابات الأخرى الموجودة في العهد الجديد إلا إنجيل لوقا، بعد أن حذف منه أيضًا نصوصًا كثيرة جدًا لأنه أنكر حقيقة الميلاد، وحقيقة الصلب والقيامة، وحتى الرسائل البوليسية التي احتفظ بها واعترف بصحتها لم تنج من الحذف، كما حذف أيضًا من إنجيل لوقا كل النصوص التي تشير إلى الآب المحب، أو أن الإله الخالق هو أبو ربنا يسوع المسيح لأنه يؤمن بأن أب يسوع المسيح ليس هو الله الخالق "الإله القاسي من وجهة نظره"، بل الآب المحب العظيم الذي لا علاقة له بإله اليهود.

---

[٦] الكتاب المقدَّس – أسلوب تفسيره السليم وفقًا لرأي الآباء القويم ص ٦١، ٦٢.

[٧] سليم بسترس، حنا الفاخوري، جوزيف البوليسي، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص ٢٨١.

واتهم ماركيون تلاميذ يسوع بتهويد الأناجيل، لأنهم كيهود، لم يستوعبوا رسالة المسيح، فظلوا يتبعون إله العهد القديم وهم يظنون خطئًا أن يسوع هو المسيح الذي ذُكِر في العهد القديم والذي أرسله إله العدل، واستمر التلاميذ في ضلالهم حتى بعد رحيل المسيح، ففسروا أقواله بناء على فكرهم اليهودي. لذلك وبخ بولس؛ بطرس ويعقوب كما جاء في رسالة غلاطية، أما بولس فقد أرسله المسيح كي يصحح الأخطاء التي سببها تلاميذ يسوع، فبشر بالإنجيل الحقيقي البعيد عن الناموس وشر الطقوس اليهودية، وبعد أن علَّم بولس العقيدة الصحيحة، قام المسيحيون بتحريف رسائل بولس. وقال ماركيون إن وظيفته هي إخراج التحريفات التي أضافها المسيحيون إلى رسائل بولس.

موقف الكنيسة من ماركيون

لقد واجهت الكنيسة ماركيون بكل قوة، فقال عنه القديس كيرلس الأورشليمي: "لتمقتوا أتباع ماركيون الذين يفصلون بين أقوال العهد القديم والعهد الجديد، لأنّ ماركيون أعظم المنافقين، زعم بوجود إلهين"[٨].

وقال عنه القديس إيرينيئوس: "عندما يقسِّم ماركيون الله إلى اثنين، معلنًا أن واحدًا صالحٌ والآخر شرير، فهو في الحقّيقة يضع نهاية للإلوهية كلها".

وقد أصدرت الكنيسة ضده قرارًا بالحرمان عام ١٤٤م ويعتبر هذا هو تاريخ أول انشقاق لجماعة من جسد الكنيسة.

وقد كان للمواجهة التي تمت بينه وبين القديس بوليكاربوس عام ١٥٥م الأثر الكبير في رجوع عدد كبير من أتباعه إلى الكنيسة.

وكتب العلامة ترتليانوس كتابه المشهور "ضد ماركيون" وفيه يرد على كل أفكاره المسمومة، ويتكون من خمسة أجزاء.

كذلك كتب القديس إيريناوس خمسة أجزاء يرد على الغنوسيين، وفيهم أشار إلى ماركيون وأفكاره المغلوطة.

وقال الشهيد يوستين عن ماركيون أنه أقوى الهراطقة، ووضع يوستين مؤلفًا ضد معتقداته الخاطئة.

وقال عنه القديس أثناسيوس الرسولي: "ألم يقل ماركيون بأن جسد الكلمة ظهر ونزل من السماء في شكل إنساني، وأنه لم يكن جسدًا حقيقيًا؟ وماذا قال ماني؟ ألم يقل: إن الجسد لم يكن جسدًا بشريًا بل له صورة إلهية، وإن ملامحه كانت فقط إنسانية، ولكنه لم يكن جسدًا بشريًا، بل غريبًا عن الطبيعة الإنسانية تمامًا؟ لقد اخترع هؤلاء كل هذه التصورات، لأنهم يعتقدون أن مصدر الخطية هو الجسد وليس الانحراف الذي أصاب الإرادة. لقد انحدر هؤلاء إلى هذا الكفر"[٩].

واستمرت الكنيسة في محاربة هذه البدعة حتى انتهت مع مطلع القرن العاشر.

الغريب والمدهش هو إن فكر ماركيون بدأ يظهر في أيامنا الحالية، وبدأنا نسمع البعض يقول: إن إله العهد القديم مختلف عن المسيح تمامًا، وهنا أود أن أختم بشهادة المسيح والرسل وآباء الكنيسة للعهد القديم ولإله العهد القديم:

---

[٨] المدخل إلى الكتاب المقدَّس. جـ ١، التوراة وعالم الشرق القديم، ص ٢٦، ٢٧.

[٩] القمص تادرس يعقوب ملطي. تفسير سفر إشعياء، ص٤١٣، ٤١٤.

(١) شهادة المسيح للعهد القديم:

لقد علَّم المسيح **أن كلام موسى هو كَلاَمَ اللهِ**، فقَالَ: "حَسَنًا! رَفَضْتُمْ **وَصِيَّةَ اللهِ** لِتَحْفَظُوا تَقْلِيدَكُمْ! لأَنَّ مُوسَى قَالَ: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ... مُبْطِلِينَ **كَلاَمَ اللهِ** بِتَقْلِيدِكُمُ" (مر٧: ٩-١٣).

فلم يقل: "رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ موسى، أو مُبْطِلِينَ كَلاَمَ موسى" بل وصية الله، وكلام الله.

وأعلن أن **كلام داود هو كلام الروح القدس** فقَالَ: "لأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ..." (مر١٢:٣٦).

وقال عن كل كلام العهد القديم، أنه كلام الله، وأن مصدره الروح القدس (راجع مت٢٢:٤٣؛ مر١٢:٣٥).

وقد أكَّد قائلًا: "إِلَى أَنْ تَزُول السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (مت٥: ١٨). راجع (لو١٦: ١٧).

تأمل ما فعله الرب يسوع المسيح عندما ظهر لتلميذي عمواس وكيف كلمهم عن نفسه من العهد القديم: "فَقَالَ لَهُمَا: "أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ!... ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ. وَقَالَ لَهُمْ: "أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ" (لو٢٤: ٢٥-٤٥).

(٢) شهادة الرسل عن العهد القديم:

يقول الرسول بولس: "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ" (٢تي٣: ١٦). وهنا يتكلم عن العهد القديم، وعبارة "مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ" في اللغة اليونانية هي (θεπνευστος) (theopneustos) "ثيو بينستوس" وهي مركبة من (Theo) أي "الله" و(pneustos) أي "نُفِخَ" في صيغة المبني للمجهول، فيكون المعنى: "نُفِخَت من الله" أو "ذات أنفاس الله".

وهذا يعني أن كل ما تكلم به الأنبياء في العهد القديم، هو "ذات أنفاس الله" أو "كلمة الله" التي تكلم بها بواسطة، أو عن طريق أنبيائه.

ويقول بطرس الرسول: "لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (٢بط١: ٢١). وكلمة "مَسُوقِينَ" في اللغة اليونانية هي (φερομενοι) من الفعل (φέρω) "فيرو" وقد ورد ٦٣ مرة في العهد الجديد وتُرجِم: (يُحضر، يجيء به، يقدّم، يحمل، يسوق، يؤدي). هي ذات الكلمة التي قيلت في (مر٢: ٣) "وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجًا **يَحْمِلُهُ** أَرْبَعَةٌ". وهكذا كان النبي وهو يكتب محمولًا بالروح، مقيدًا بالروح، مسوقًا بالروح، ينطق بما يتكلم به الروح على لسانه كقول داود النبي: "رُوحُ الرَّبِّ تَكَلَّمَ بِي وَكَلِمَتُهُ عَلَى لِسَانِي" (רוּחַ יְהוָה, דִּבֶּר-בִּי; וּמִלָּתוֹ, עַל-לְשׁוֹנִי)، فالروح القدس هو الذي تكلم على لسانهم.

(٣) شهادة آباء الكنيسة لكل الكتاب:

على مر العصور والأجيال شهد آباء الكنيسة لعصمة الكتاب، ولصدق كلماته، وأريد أن أذكر هنا بعض هذه الشهادات:

القديس يوستينوس الشهيد (١٠٠-١٦٦م) كان يعلِّم بأن الكتب المقدسة هي: "لغة الله بعينها".

القديس ترتليانوس (١٦٠–٢٢٠م) يقول: "إن الكتب المقدسة... الكلمات... والحروف هي صوت الله الحقيقي".

القديس إيريناوس (٢٠٢م) يقول: "لقد علَّم المسيح بأوضح العبارات أن كلمات موسى هي كلماته هو. وبما أن هذا هو الحق. فينطبق بالتبعية على كل كلمات الأنبياء الآخرين. ويضيف: إن الكتب المقدسة كاملة هي صادرة من الله وروحه، حتى وإن عجزنا عن إدراك أسرارها".

القديس غريغوريوس النزينزي (Gregory of Nazianzus) (٣٢٩–٣٩٠م) يقول: "إنه حتى أصغر خط في الكتاب المقدس مكتوب وفق عمل الروح القدس".

القديس غريغوريوس النيسي (Gregory of Nyssa) (٣٣٠–٣٩٥م) يقول: "كل ما تقوله الكتب الإلهية هو صوت الروح القدس".

القديس أغسطينوس (٣٥٤–٤٣٠م) "إن العهد القديم مكشوف في الجديد، والعهد الجديد مخبوء في القديم".

القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٦–٧٤٩م) قال: "كل الكتاب هو نفخة الله ونافع للتعليم من كل وجه، ولعل أفضل ما يفعله الإنسان ولخير نفسه أن يفتش الكتب المقدسة".

القديس توما الإكويني (١٢٢٥–١٢٧٤م) يقول: "إن الله هو مؤلف الكتاب المقدس".

وفي عصر الإصلاح الديني، أيَّد المصلحون الإنجيليون في القرنين السادس عشر والسابع عشر هذا الرأي، فكان لوثر يقول: "عندما تقرأ الكتب المقدسة، لا بد وأن تدرك أن الله هو من يتكلم".

ويقول في موضع أخر: "لم يخطئ الكتاب المقدس البتة".

وجاء في إقرار الإيمان الوستمنستري الصادر عام ١٦٤٦ "وحيث أن مؤلف الكتاب المقدس هو الله فيجب أن نقبله كما هو لأنه كلمة الله".

عزيزي القارئ: هل تعلم أن العهد القديم كان هو الكتاب المقدس الرسمي للكنيسة لمدة ٨٠ سنة تقريبًا بعد صعود المسيح للسماء، وأن بولس كان يكرز عن يسوع من نبوات العهد القديم، وكذلك الرسل، وكاتب العبرانيين أثبت لنا أن يسوع هو تحقيق كامل لكل ذبائح العهد القديم.

هل تعلم أن العهد الجديد وهو ٢٦٠ أصحاح، به ٣٤٣ اقتباس مباشر من العهد القديم و٢٣٠٩ اقتباس غير مباشر. من سفر المزامير فقط ٩٧ اقتباس مباشر و٣٣٣ اقتباس غير مباشر، ومن سفر إشعياء ٦٦ اقتباس مباشر و٣٤٨ اقتباس غير مباشر.

يقول د. جراهام سكروجي إن الرسول بولس اقتبس من العهد القديم الآتي:

٧٤ اقتباسًا في رسالة رومية.

٢٩ اقتباسًا في كورنثوس الأولى.

٢٠ اقتباسًا في كورنثوس الثانية.

١٣ اقتباسًا في غلاطية.

٢١ اقتباسًا في أفسس.

٦ اقتباسات في فيلبي.

٤ اقباسات في كولوسي.

٧ اقتباسات في تسالونيكي الأولى.

٩ اقتباسات في تسالونيكي الثانية.

٢ اقتباس في تيموثاوس الأولى.

٤ اقتباسات في تيموثاوس الثانية.

٣ اقتباسات في تيطس.

هل بعد هذا نقول إله العهد القديم وإله العهد الجديد؟!.

نحن نؤمن بإله واحد، وكتاب واحد، وروح واحد أوحى لكتبة العهد القديم والعهد الجديد.

الفصل الثاني

أرفض أن أعبد إلهًا عنصريًا

عندما كنت طالبًا في الصف الأول الثانوي كان مدرس اللغة العربية متعصبًا جدًا، عندما يدخل الفصل يختار الطلبة المسيحيين واحدًا بعد الآخر، ويسأل كل منا سؤالًا صعبًا، وإن أجاب الطالب يسأله سؤالًا أصعب حتى يفشل في الإجابة، ثم يطلب منه أن يظل واقفًا، ثم يعاقبنا بالضرب بالعصا على أيدينا، بعد أن يكون قد أشبعنا سخرية وتهكم واستهزاء أمام الفصل. فكنت أنا وزملائي لا نحترم هذا المدرس أبدًا، وفوجئت بأن معظم أصدقائي المسلمين كانوا لا يحترمونه أيضًا بسبب هذا التصرف الحقير. ولا أنسى ما قاله لي أحد أصدقائي المسلمين ذات مرة ليواسيني بعد حصة كان قد أهانني فيها بشدة، وظلمني في درجات الشهر: "اوعى تزعل، أقسم بالله هذا المدرس معندوش ضمير، وربنا هيجبلك حقك".

ولذلك أنا أرفض تمامًا أن أعبد إلهًا عنصريًا يميز بين إنسان وآخر، وبين شعب وآخر.

وأقول بكل تأكيد: إن الإله الذي أعبده، والذي أعلن لنا عن نفسه في الكتاب المقدس، ليس لديه محاباة، ولا يميز بين شخص وآخر، ولا بين شعب وآخر للأسباب الآتية:

(١) كل إنسان صنعة يد الله:

إن "كل إنسان" مهما كان لونه أو جنسه أو دينه أو معتقده له مكانة كبيرة ومحبة خاصة في قلب الله؛ سواء كان يهوديًا أو فلسطينيًا، روسيًا أو أوكرانيًا، أمريكيًا أو إيرانيًا، وسواء كان مسيحيًا أو مسلمًا أو بوذيًا أو هندوسيًا أو ملحدًا؛ وذلك لأنه صنعة يده.

ففي الأصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التكوين نجد الله بعد أن أبدع في خلق الكون وكل ما فيه، خلق الإنسان وجعله تاجًا للخليقة وسيدًا لها.

ونجد الله عند خلق سائر المخلوقات كان يستخدم ضمير المفرد الغائب فيقول مثلًا: "لِيَكُنْ نُورٌ.. لِيَكُنْ جَلَدٌ... لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ.. لِتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ.. لِتُنْبِتِ الأَرْضُ... لِتَكُنْ أَنْوَارٌ...الخ". أما عند خلق الإنسان فإنه استخدم ضمير المتكلم الجمع فقال: "نَعْمَلُ الإنسان عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" (تك١: ٢٦). وكأن الثالوث يتحاور في كيفية خلق الإنسان.

بل ومن يقرأ بتدقيق يرى أنه في نهاية كل يوم يذكر الوحي "وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ"، ولكن في نهاية اليوم السادس بعد أن خلق الله الإنسان "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا".

ويقول المرنم عن الإنسان: "بِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ. تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ" (مز٨: ٦).

لذلك فكل إنسان غالي على قلب الله جدًا، أيًا كان جنسه أو دينه أو لونه أو معتقده لأنه صنعة يده. ولم يخلق الله أي إنسان

لكي يعذّبه أو ليقتله ويتلذذ بسفك دمه، كما يظن غير الفاهمين، فلا يوجد فنان يُبدِع في رسم لوحة ثم يمزقها! ولا يوجد شاعر يكتب قصيدة ثم يلقيها في سلة المهملات! ولا كاتب يكتب رواية ثم يحرقها بالنار!

فكل البشر أبناءه بحكم الخلق، يقول بولس: "الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ.... وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ... لأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ. فَإِذْ نَحْنُ ذُرِّيَّةُ اللهِ" (أع١٧: ٢٥-٢٩).

فهو إله الخليقة قبل أن يكون إله العهد، تعامل مع آدم أبو البشرية كلها قبل أن يتعامل مع إبراهيم، وبدأ بالشعوب وليس بإسرائيل، إنه إله كل العالم وإله كل إنسان (مز٣٣: ١٣-١٥).

(٢) كل إنسان مخلوق على صورة الله:

فالإنسان ليس فقط صنعة يده، بل ومخلوق على صورته فنقرأ: "وَقَالَ اللهُ: "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَخَلَقَ اللهُ الإِنسان عَلَى صُورَتِهِ... عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (تك١: ٢٦، ٢٧). وهنا نرى قيمة الإنسان المطلقة، فهو الكائن الوحيد الذي خُلِق على صورة الله، ليمثِّله، ويكون نائبه، وحامل حضوره فيعكس محبته ونوره ونعمته لكل العالم.

والكلمة العبرية "صُورة" هي (צלם) (صَلم) وردت في العهد القديم ١٧ مرة، وتعني: ظلنا، يمثلنا، يعبّر عنا، يشبهنا، مثلنا (representative ،resemblance).

والكلمة العبرية "كَشَبَهِنَا" هي (דמות) (دموت) وردت في العهد القديم ٢٥ مرة، وتعني: شبه، مثل.

وما هو الظل؟ الظل لا يحدث من فراغ بل يؤكد وجود الحقيقة، فهو يؤكد حضور الله.

وهذا يعني أن الله قرر أن يكون حاضرًا في الإنسان.

وترد آيتنا في بعض الترجمات الإنجليزية كالتالي:

(CEB) Then God said, "Let us make humanity in our image to **resemble us**..."

وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإنسان عَلَى صُورَتِنَا ليمثلنا...

(MSG) God spoke: "Let us make human beings in our image, make them **reflecting our nature**..."

وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإنسان عَلَى صُورَتِنَا ليعكس طبيعتنا.

ونحن لا نقدر أن نعكس طبيعته أو نمثله إن لم يكن حاضرًا فينا.

هذا هو هدف الله الأول من خلق الإنسان "كل إنسان"؛ أن يعكس طبيعته، ويحمل حضوره، ويمثله في العالم، لذلك خلقه وقد أعطاه إمكانية أن يكون في شركة حميمة معه، لأنه بدون شركة حميمة مع الرب لن يعكس إلا نفسه. فنقرأ كلمات الوحي: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" (تك٢:٧).

والفعل (جَبَلَ) (וַיִּיצֶר) يعني صوَّر أو شكَّل (formed) وهو يشير إلى أمرين؛ المهارة والسلطان. فالله بمهارته الفائقة وسلطانه المطلق صوَّرَنا وشكَّلَنا في أجمل صورة.

ثم يقول: (ونَفَخَ) (וַיִּפַּח) (breathed) وهذا الفعل لم يفعله الله مع الكائنات الأخرى، فهذا الفعل يعني قُبلة تحمل معنى عطاء النفس والذات، وتدل على علاقة شخصية حارة، فالله أعطى نفسه للإنسان، أعطى حياته، لقد نفخ الله حياته في هذه الجثة الهامدة، فصارت حياة الله في الإنسان، وهكذا صار الإنسان نفسًا حية. فعلى الإنسان أن يدرك أنه في ذاته ليس له أي قوة على الحياة، فهو لا يستطيع أن يهب نفسه الحياة، فهي هبة من الله. فالله هو رب الحياة، وفيه وحده تُوجَد الحياة.

ولا يمكن أن نحصر صورة الله في الإنسان في عدة صفات محددة، فالله غير محدود وصفاته غير محدودة منها العقل المفكر، والإرادة الحرة، والضمير الحساس، والقدرة على الإبداع والابتكار، والتواصل معه ومع الآخرين، والتخيل والتذكر والمشاعر والأحاسيس.... الخ.

والسؤال: من هو الإنسان المخلوق على صورة الله؟ "كل إنسان" مهما كان لونه أو جنسه أو معتقده، ولذلك الله لا يميز بين إنسان وآخر، ولا بين شعب وآخر، ولا بين عرق وآخر، إذ ليس عند الله محاباة، والله لا يكيل بمكيالين. وإذا قلنا: إن الله يميز شعب عن شعب آخر، أو إنسان عن إنسان آخر نحن نهين الله. فما رأيك في مدرس يميز أبناء دينه ويعطيهم درجات أعلى من باقي الطلبة، ألا تحتقر هذا المدرس؟

أو طبيب في مستشفى يهتم بالمرضى الذين ينتمون إلى نفس دينه ويهمل باقي المرضى، ألا تحتقر هذا الطبيب؟ وحاشا لله أن يفعل ذلك.

(٣) الله يحب كل إنسان، ويريد أن تعرفه كل الشعوب:

أرجو أن تلاحظ الحقائق التالية لتتأكد أن الله لا يميز بين إنسان وأخر:

- إن أول شخص تعامل الله معه في التارخ هو **آدم أبو الجنس البشري** وليس إبراهيم.
- إن أول شخص ظهر له ملاك الرب في العهد القديم هو **هاجر المصرية** فنقرأ: "فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ.. وَقَالَ: "يَا هَاجَرُ جَارِيَةَ سَارَايَ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟" (تك١٦: ٧-٨).

لاحظ إن ملاك الرب هنا يظهر لامرأة وليست رجلًا

جارية وليست سيدة أعمال.

أممية وليست يهودية.

- **أول شخص أعطى له الرب اسمًا في العهد القديم هو إسماعيل فنقرأ:**

"وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: "هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ..." (تك١٦: ١١).

- **أول كاهن للرب هو مَلْكِي صَادِقُ:** "ومَلْكِي صَادِقُ، مَلِكُ شَالِيمَ... كَانَ كَاهِنًا لِلهِ الْعَلِيِّ..." (تك١٤: ١٨، ١٩). وهو ليس يهوديا بل أمميًا.

- **تأمل علاقة أبيمالك الفلسطيني بالرب:**

يلفت نظر كل لاهوتي دارس للكلمة كيف أن إبراهيم أبو الأسباط يكذب ويقول عن سارة إنها أخته خوفا من الموت، بينما أبيمالك ملك جرار يُمسكه الله عن أن يخطئ إليه، لأنه فعل بسلامة قلب ونقاوة يدين. وعندما ظهر له الله في الحلم لم يفزع ولم يرتعب، بل والحوار بينه وبين الله يؤكد أن بينهما علاقة طويلة وحميمة.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: "هِيَ أُخْتِي". فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَخَذَ سَارَةَ، فَجَاءَ اللهُ إِلَى أَبِيمَالِكَ فِي حُلْمِ اللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ: "هَا أَنْتَ مَيِّتٌ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ الَّتِي أَخَذْتَهَا، فَإِنَّهَا مُتَزَوِّجَةٌ بِبَعْل".

أَلَمْ يَقُلْ هُوَ لِي: إِنَّهَا أُخْتِي، وَهِيَ أَيْضًا نَفْسُهَا قَالَتْ: هُوَ أَخِي؟ بِسَلاَمَةِ قَلْبِي وَنَقَاوَةِ يَدَيَّ فَعَلْتُ هذَا". فَقَالَ لَهُ اللهُ فِي الْحُلْمِ: "أَنَا أَيْضًا عَلِمْتُ أَنَّكَ بِسَلاَمَةِ قَلْبِكَ فَعَلْتَ هذَا. وَأَنَا أَيْضًا أَمْسَكْتُكَ عَنْ أَنْ تُخْطِئَ إِلَيَّ، لِذلِكَ لَمْ أَدَعْكَ تَمَسُّهَا. (تك٢٠: ٢-٦).

• **تأمل نُبل وأصالة أُورِيَّا الْحِثِّيّ في مقابل غدر وخيانة داود:**

وأُورِيَّا الْحِثِّيّ من أصل حثي ولكنه دخل ضمن من يعبدون الرب إله العبرانيين كما يظهر من اسمه. وكان قائدًا في جيش داود (٢صم٢٣: ٣٩؛ ١أخ١١: ٤١)، واستدعاه داود ومنحه إجازة لينزل إلى بيته حتى لا تنكشف جريمته، لكنه رفض أن يذهب إلى بيته، وأنا أدعوك لتتأمل في ولائه وانتماؤه للرب ولشعبه:

"فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوآبَ يَقُولُ: "أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ". فَأَرْسَلَ يُوآبُ أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ، فَأَتَى أُورِيَّا إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدُ عَنْ سَلاَمَةِ يُوآبَ وَسَلاَمَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ. وَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: "انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ"... فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: "إِنَّ التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لاَ أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ" (٢صم١١: ٦- ١٥).

• **قارن بين إِتَّايُ الْجَتِّيُّ وأبشالوم بن داود:**

وإِتَّايُ اسم واحد من رجال جتّ كان رئيسًا لست مئة رجل من الذين تبعوا داود من تلك المدينة الفلسطينية. وكان أمينًا لداود وفيًا له في كل الظروف في الوقت الذي كان فيه أبشالوم يطارده ويريد أن يقتله. وكان يقود ثلث جيش داود في المعركة التي قُتِل فيها أبشالوم (٢صم١٥: ١٨-٢٢؛ ١٨: ٢، ٥).

"فَأَجَابَ إِتَّايُ الْمَلِكَ وَقَالَ: "حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ وَحَيٌّ سَيِّدِي الْمَلِكُ، إِنَّهُ حَيْثُمَا كَانَ سَيِّدِي الْمَلِكُ، إِنْ كَانَ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلْحَيَاةِ، فَهُنَاكَ يَكُونُ عَبْدُكَ أَيْضًا".

• ونرى الله في العهد القديم يوصي بالمساواة بين اليهودي والأممي، ففي تطبيق الأحكام أوصى قائلًا:

"حُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ. الْغَرِيبُ يَكُونُ كَالْوَطَنِيِّ. إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ" (لا٢٤: ٢٢).

• وقد سمح الله للأمم بالانضمام إلى شعبه، فيمكن لأي إنسان أممي أن يصير ضمن شعب الله لو أراد ذلك فيقول لشعبه: "لا تَكْرَهْ أَدُومِيًّا لأَنَّهُ أَخُوكَ. لا تَكْرَهْ مِصْرِيًّا لأَنَّكَ كُنْتَ نَزِيلًا فِي أَرْضِهِ. الأَوْلاَدُ الذِينَ يُولَدُونَ لَهُمْ فِي الجِيلِ الثَّالِثِ يَدْخُلُونَ مِنْهُمْ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ" (تث٢٣: ٧، ٨). راجع (خر١٢: ١٩، ٤٨، ٤٩، لا١٧: ٨-١٠، عد ١٥: ٢٦،٣٠).

ويقول (أ. أ. مَاك راي) (A. A Mac Rae.) لقد أعدَّ الله دائمًا مجالًا للأمم للدخول إلى دائرة شعب الله. وحتى يمنع أي سوء فهم شدَّد على هذه الحقيقة، وكرر أكثر من مرة على أن أي غريب ينزل بين بني إسرائيل يمكن أن يصير إسرائيليًا، وفي هذه الحالة عليه أن يحفظ الفصح، تمامًا بنفس الطريقة التي يحفظه بها المولود إسرائيليًا فيقول: "وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكُمْ غَرِيبٌ فَلْيَعْمَلْ فِصْحًا لِلرَّبِّ. حَسَبَ فَرِيضَةِ الْفِصْحِ وَحُكْمِهِ كَذلِكَ يَعْمَلُ. فَرِيضَةٌ وَاحِدَةٌ تَكُونُ لَكُمْ لِلْغَرِيبِ وَلِوَطَنِيِّ الأَرْضِ" (عد٩: ١٤)، راجع (خر١٢: ٤٥-٤٩).

وأن يقدم وقود رائحة سرور للرب "وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكُمْ غَرِيبٌ، أَوْ كَانَ أَحَدٌ فِي وَسَطِكُمْ فِي أَجْيَالِكُمْ وَعَمِلَ وَقُودَ رَائِحَةِ سُرُورٍ

لِلرَّبِّ، فَكَمَا تَفْعَلُونَ كَذلِكَ يَفْعَلُ. أَيَّتُهَا الْجَمَاعَةُ، لَكُمْ وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ عِنْدَكُمْ فَرِيضَةٌ وَاحِدَةٌ دَهْرِيَّةٌ فِي أَجْيَالِكُمْ. مَثَلُكُمْ يَكُونُ مَثَلَ الْغَرِيبِ أَمَامَ الرَّبِّ. شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ عِنْدَكُمْ" (عدد١٥: ١٤-١٦). وأن يقدم ذبيحة خطية (عد ١٥: ٢٩).

ونرى سليمان الحكيم يؤكد هذا الفكر الراقي بأن الله يقبل كل صلاة من أي إنسان طالما تُرفع بضمير صالح، فيقول في صلاته يوم تدشين الهيكل: "فَكُلُّ صَلاَةٍ وَكُلُّ تَضَرُّعٍ تَكُونُ مِنْ **أَيِّ إِنْسَانٍ كَانَ**.. فَاسْمَعْ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ مَكَانِ سُكْنَاكَ وَاغْفِرْ وَأَعْطِ **كُلَّ إِنْسَانٍ** حَسَبَ كُلِّ طُرُقِهِ كَمَا تَعْرِفُ قَلْبَهُ.. **وَكَذلِكَ الأَجْنَبِيُّ الَّذِي لَيْسَ هُوَ مِنْ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ** وَقَدْ جَاءَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ الْعَظِيمِ.. فَمَتَى جَاءُوا وَصَلُّوا فِي هَذَا الْبَيْتِ، فَاسْمَعْ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ مَكَانِ سُكْنَاكَ **وَافْعَلْ حَسَبَ كُلِّ مَا يَدْعُوكَ بِهِ الأَجْنَبِيُّ** لِيَعْلَمَ كُلُّ شُعُوبِ الأَرْضِ اسْمَكَ فَيَخَافُوكَ كَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ" (٢أخ٦: ٢٩-٣٣).

(٤) عاقب الله إسرائيل كما عاقب الأمم:

حقًا ليس لدى الله محاباة، فكما كان يعاقب الأمم على شرورهم كذلك كان يعاقب بني إسرائيل على خطاياهم، فهو رب الخليقة وسيد التاريخ، ولو كان إله العهد القديم متحيزًا لليهود ما كان قد أدبهم مرارًا وتكرارًا، وما كان أسقط جثثهم في القفر. ولو كان متحيزًا ما كان أدبهم بالحيَّات المحرقة، وما كان قد ترك الشعوب المحيطة بهم يستعبدونهم ويذلونهم. ولو كان متحيزًا لهم ما كان شتتهم في أرض السبي (عا٣:٢).

ودعني يا صديقي أذكر لك القليل من الكثير:

(أ) عندما صعد موسى إلى الجبل ليتسلم الوصايا من الله وأبطأ في النزول، عقب خروج بني إسرائيل من أرض مصر، صنع الشعب عجلًا ذهبيًا وقالوا: "هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ!" (خر٣٢: ٤). فحمى غضب الله عليهم، لأن أكثر ما يثير الغضب الإلهي أن يعبد الإنسان آلهة كاذبة، وما يتبع ذلك من انحلال وفساد (خر٣٢: ٩، ١٠). وكانت النتيجة أن "وَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُل" (خر٣٢: ٢٧، ٢٨). لقد قتلوا كل إنسان متمسكًا بالعبادة الوثنية.

(ب) عندما سقط الشعب الإسرائيلي في خطية الزنى مع بنات موآب أرسل الله إليهم الوباء فمات منهم أربعة وعشرين ألفًا (عد٢٥: ١-٩).

(ج) عندما انحرف شعب الله وابتعدوا عن الرب، عاقبهم الرب بالأمة الفلسطينية، التي قتلت منهم أَرْبَعَةِ آلاَفِ رَجُل (١صم٤: ١-٣). وعندما لم يواجهوا أنفسهم بصدق، ويصححوا علاقتهم بالله، ويتوبوا توبة صادقة، ويتقدسوا، قالوا فيما بينهم: "لِنَأْخُذْ لأَنْفُسِنَا تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ فَيَدْخُلَ فِي وَسَطِنَا وَيُخَلِّصَنَا مِنْ يَدِ أَعْدَائِنَا". وتقدموا لمحاربة الفلسطينيين، ولكن كسرهم الرب مرة أخرى أمام الفلسطينيين، وقتل الفلسطينيين منهم ثلاثين ألف رجل، وأخذوا تابوت الله، ومات ابنا عالي، حُفني وفينحاس (١صم٤: ١٠-١١).

(د) عندما ندرس سفر القضاة سنجد أنه عندما أخطأوا وابتعدوا عن الرب وعبدوا آلهة أخرى، سمح الله للشعوب المحيطة بهم بأن يستعبدوهم ويذلوهم فنقرأ: "فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ" (قض٢: ١١-١٥). وأرجو أن تتأمل هذا النص لترى كيف كان الرب يعاقبهم بالأمم المجاورة لهم:

"وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِ مِدْيَانَ سَبْعَ سِنِينَ. فَاعْتَزَّتْ يَدُ مِدْيَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ..." (قض٦: ١-٤).

(هـ) السبي الأشوري:

عندما تمادى شعب المملكة الشمالية (مملكة إسرائيل) في عناده وفساده وعبدوا آلهة أخرى، وأوقدوا على المرتفعات مثل الأمم، وعملوا أمورًا قبيحة لإغاظة الرب، فعبدوا الأصنام، وعبَّروا بنيهم وبناتهم في النار (٢مل١٧: ٧–٢٣)، غضب الرب جدًا عليهم، وأذلهم ودفعهم ليد ناهبيهم، وسمح الله لملك أشور بسبي مملكة إسرائيل سنة ٧٢٢ ق. م (٢مل١٧: ٥، ٦).

وتحقق قول هوشع النبي: "تُجَازَى السَّامِرَةُ لأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ، وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ" (هو١٣: ١٦).

(و) السبي البابلي:

وعندما تمادى أيضًا شعب المملكة الجنوبية (مملكة يهوذا) في عناده وفساده وعبدوا آلهة أخرى، وأوقدوا على المرتفعات مثل الأمم، لقنهم الله درسًا قاسيًا ليدركوا أن الشر لابد أن يُعَاقَب، فاستخدم الرب نبوخذ نصر ملك بابل ليعاقبهم، ففي عام (٥٨٧ ق.م) هجم نبوخذ نصر على أورشليم بكل جيشه ومركباته، وكما يقول المؤرخ اليهودي الكبير يوسيفوس: "أحرقوا الهيكل، وهدموا أسوار أورشليم، وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وأخذوا جميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة، وخزائن الملك ورؤسائه إلى بابل (٢أخ٣٦: ١٧–٢١)، وقتلوا كل أشراف يهوذا (إر٣٩: ٦)، ومعظم الشعب سبوهم إلى بابل، ولم يتركوا في أورشليم إلا مساكين الأرض (٢مل٢٥، ٢أخ٣٦)، والذين أبقاهم نبوخذ نصّر ملك بابل في أورشليم وكَّل عليهم جدليا بن أخيقام بن شافان (٢مل٢٥: ١–٢٢). وبقي الشعب في السبي لمدة سبعين عامًا.

(٥) خلَّص الله الأمم كما خلَّص إسرائيل:

إن الله الذي أعلنه الأنبياء في العهد القديم ليس إلهًا قبليًا كل ما يهمه هو شعب إسرائيل، فالله هو الخالق لكل البشر ويحب كل الأمم، ولذلك فقد كان يهتم ويعمل مع إسرائيل ومن خلال شعب إسرائيل لأجل بقية الشعوب، لأن كل الشعوب هم أبناء الله، خليقة الله، ولذلك عمل الله مع إسرائيل لأجل هؤلاء الشعوب.

ونجد الله في العهد القديم يعمل ويهتم بكل الأمم والشعوب كما هي في حد ذاتها وليس طبقًا لعلاقتها بإسرائيل (إر٣٢: ٢٧، ٢٥: ٣١، ٤٥: ٥). لقد ظن بنو إسرائيل أن يهوه لا يوجد إلا في إسرائيل، ولا يهتم إلا بهم، فلا دخل له بما يحدث مع المصريين، أو بما يحدث مع الفينيقيين مثلًا.

لقد كانت نظرتهم إلى الله نظرة صنمية، إله محدود، يُمتلَك من الشعب، لا دخل له بما يحدث في البلاد الأخرى. ولكن هنا يعلن عاموس بوضوح كلمات الرب لبني إسرائيل: "أَلَسْتُمْ لِي كَبَنِي الْكُوشِيِّينَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَلَمْ أُصْعِدْ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ مِنْ كَفْتُورَ وَالأَرَامِيِّينَ مِنْ قِيرٍ؟" (عا٩: ٧).

ومعروف أن فلسطين وآرام كانتا من ألد أعداء إسرائيل، غير أن محبته وعنايته تشمل كل الشعوب، فبني إسرائيل لا يفرقون شيئًا عن الكوشيين، فنفس الإله القدير الذي أخرج إسرائيل من أرض مصر، أخرج الفلسطينيين من كفتور، والأراميين من قير. فالله هنا يهتم بخلاص هذه الشعوب (الفلسطينيين والآراميين) بنفس الطريقة التي خلَّص بها شعب إسرائيل (انظر أيضًا: إش٤٥: ١٤، ٢٢–٢٣؛ إش٥٦: ٣–٨؛ ٦٦: ١٨–١٩، ٢٣ ؛ زك٨: ٢٢–٢٣).

وعندما يقدم الرب وعدًا بالبركة على لسان إشعياء فإنه يقول: "مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ وَعَمَلُ يَدَيَّ أَشُّورُ وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلُ" (إش١٩: ٢٥).

وما يدعو لمدح مجد نعمة الله أن يُقال عن مصر "شَعْبِي" وعن أشور "عَمَلُ يَدَيَّ" وهي أوصاف كانت تُقال كثيرًا عن إسرائيل، قارن (مز١٠٠: ٣؛ إش١٩: ٢٣؛ هو٢: ٢٣؛ أف٢: ١٠). لكن الله لا يعرف المحاباة فالكل شعبه، والكل له نصيب في البركة[1].

كيف نقول أنه إله عنصري ونحن نرى:

ثامار الكنعانية
راحاب الزانية
راعوث الموآبية
جدات لشخص الرب يسوع

نبوات العهد القديم تؤكد أن المسيا الآتي، مسيا العالم كله:

فمنذ السقطة الأولى التي سقط فيها آدم وحواء جاء الوعد الإلهي مؤكدًا أن "المخلص الآتي" للجنس البشري كله: "وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ" (تك٣: ١٥).

ونسل المرأة هو "المسيح" لأنه الوحيد الذي وُلِد من امرأة فقط بدون زرع بشر، وسيسحق رأس الحية أي الشيطان الذي يريد أن يضل العالم كله.

- **ثم يعطي الوعد لإبراهيم:**

(تك١٢: ٣) "وَتَتَبَارَكُ فِيكَ **جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ**" راجع (تك٢٢: ١٨).

- **ثم يعطي الوعد لإسحق:**

(تك٢٦: ٤) "وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ **جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ**".

وهذا يعني بوضوح أن الذي سيأتي من نسل إسحق ستتبارك "**فيه**" ويقول "**فيه وليس به**" جميع قبائل الأرض. لأنه في المفهوم المسيحي لا تتبارك الأمم به ولا باسمه ولكن "**فيه**" أي عندما نكون في المسيح.

- **ثم يعطي الوعد ليعقوب** (تك٢٨: ١٤).

- **ثم يحدد أنه من نسل يهوذا:**

(تك٤٩: ١٠) لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ **وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ**.

وكلمة شيلوه (שִׁילֹה) تعني (المسيا الذي ملكه أو له كل الأشياء)[2]. والمسيا سيكون له خضوع الشعوب .

- **نبوات سفر المزامير:**

(مز٢: ٧، ٨) قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ ٨ اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ **الأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكًا لَكَ**.

راجع: (مز٢٢: ٢٧، مز٦٧: ٢، مز٧٢: ١١، مز٨٦: ٩، مز٩٦: ١٠، مز١٠٥: ١).

[1] The expositor's Bible commentary. V. 8., p. 417.

[2] The Zondervan pictorial Encyclopedia of the Bible. V. 4., P. 416.

- **نبوات سفر إشعياء:**

(إش١١: ١-٩) وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ... **يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ وَيَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ**...

راجع: (إش٤٣: ٦-٩؛ إش٤٩: ١؛ إش٤٩: ٢٢؛ إش٦٢: ٢؛ إش٦٦: ١٨؛ إش٦٦: ١٩).

- **نبوات سفر إرميا:**

(إر٣: ١٧) وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهَا كُلُّ الأُمَمِ، إِلَى اسْمِ الرَّبِّ

راجع: (إر١٦: ١٩؛ إر٣١: ١٠).

- **نبوة دانيال:**

(دا٧: ١٣، ١٤) كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ.. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. **سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ.**

أكتفي بهذه النبوات بالرغم من أن غيرها كثير جدًا، وللأسف رغم ذلك كان اليهود يظنون أن الخلاص لليهود فقط، وأن المسيا المنتظر لهم فقط، وكانوا ينظرون للأمم بحقارة، بالرغم من أن أنبياء كثيرين يهود تكلموا وبشروا الأمم مثل يونان ودانيال، بل راعوث وأيوب ليسا من اليهود أصلًا.

إن إلهنا ليس عنصريًا، ولا يميز بين إنسان وآخر، ولا بين شعب وآخر، إنه يحب كل إنسان، ويريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.

الفصل الثالث

من هو إله العهد القديم؟

من هو إله العهد القديم؟ ما هي الصورة التي يقدمها لنا العهد القديم عن الله؟ هل إله العهد القديم هو فعلًا إله حروب وسفك دماء؟ وهل هو فعلًا لا يعرف الرأفة ولا الرحمة؟ وهل إله العهد الجديد هو إله آخر مختلف عن إله العهد القديم؟ هل حدث تغيير في ذات الله وهو المنزَّه عن التغيير، الأزلي والأبدي؟ وهل يمكن أن يكون الله واحد ولكنّه يتعامل بطريقة مختلفة في العهد الجديد عنها في العهد القديم؟

في الحقيقة نحن مُجرَبون بأن نرسم صورة مغلوطة عن الله بسبب دراستنا لنصوص كتابية ناقصة، أو منزوعة من قرينتها، أو بعيدًا عن خلفيتها التاريخية، وسياقها اللاهوتي، لكن دعونا نكوِّن مفهومًا صحيحًا عن الله كما أعلن هو عن نفسه في العهد القديم.

(١) الإله الخالق المعتني:

إن أول شيء يقدمه لنا الكتاب المقدس عن الله أنه الخالق المعتني، فهو الذي خلق الكون بكل ما فيه، وأبدع في صنعه، لذلك يقول المرنم: "مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ. مَلآنَةٌ الأَرْضُ مِنْ غِنَاكَ" (مز١٠٤: ٢٤). والعالم كله موضوع اهتمام الله ومحبته وعنايته ورعايته. إنه يهتم بطيور السماء وزنابق الحقل (مت٦: ٢٦-٢٨). يهتم بكل حيوانات البرية (مز٥٠: ١٠،١١). وهو يعتني بكل إنسان، أيًا كان جنسه أو دينه أو لونه أو معتقده، لأن كل إنسان صنعة يده ومخلوق على صورته (أع١٧: ٢٥-٢٩).

(٢) إله النعمة المتفاضلة:

فنجد هذا الإله العظيم بعد السقوط يأتي بذاته ليبحث عن آدم قائلًا: "أين أنت؟" (تك٣: ٩)، ويصنع أقمصة من جلد ويكسيه. ثم نراه يبادر ويدخل في عهد مع إبراهيم واعدًا إياه بأن يكون بركة للعالم، وأن يتبارك العالم من خلاله "وَأُبَارِكَكَ.. وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (تك١٢: ١-٣). ثم نجده يكرر عبارة "وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" إلى كل من إسحق ويعقوب (تك١٢: ٣، ١٨: ١٨، ٢٨: ٣، ٣٥: ١١، ٤٩: ١٠).

(٣) إله المحبة الكاملة:

يعلن لنا الكتاب المقدس أن الله محبة، وأنه يحب كل العالم. فهو لا يسر بموت الشرير، بل يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.

لقد أرسل يونان إلى نينوى وقال له: "قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا، لأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي" (يون١: ٢) وللأسف رفض يونان وهرب إلى ترشيش. لأن نينوى من وجهة نظره بلد أممي، والأمم بالنسبة لليهود كلاب، إلى جانب أنها عاصمة مملكة أشور، التي هي بلاد العراق الآن، وكانت تعيش في صراع مع إسرائيل. والغريب أنه بعد الأسلوب الدرامي الذي استخدمه الرب معه، ذهب بالفعل ونادى للشعب بالتوبة وتابوا، لكنه جلس حزينًا وطلب الموت لنفسه.

لقد كان يونان يريد خراب المدينة لأنها أممية. وعندما خرج يونان من المدينة أراد الله أن يصحح مفاهيمه ليدرك أن الله هو إله كل الخليقة، وأن كل الشعوب له، لذلك أعدَّ له يقطينة وارتفعت وظللت عليه ولكنها في اليوم التالي يبست، وهنا حزن يونان حزنًا شديدًا وطلب الموت لنفسه، فقال له الله: "أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا، الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ. أَفَلاَ أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ (يون٤: ١٠، ١١). نعم إنه يشفق على نينوى وعلى كل إنسان، لأن كل إنسان له. إن الله لا يُحَد في شعب ولا في جماعة، إنه يحب كل العالم (يو٣: ١٦) ويعلق وليم باركلي قائلًا: "إن العالم كله دائرة محبته، ليس أمة واحدة وبقية الأمم لا... ليس الناس الطيبون والأشرار لا... ليس الذين يحبونه والذين يبغضونه لا. إن الله يحب الجميع، الذين لا صورة لهم ولا جمال في حياتهم، والذين لا يذكرون اسمه إطلاقًا. إن دائرة محبة الله الواسعة تشمل الجميع"[١].

(٤) إله يرفض العنف والقتل وسفك الدماء:

يقول في الوصية السادسة من الوصايا العشر: "لاَ تَقْتُلْ" (خر٢٠: ١٣).

ويقول الحكيم: "هذِهِ السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ... **أَيْدٍ سَافِكَةٌ دَمًا** بَرِيئًا" (أم٦: ١٦-١٨).

ويوبخ الرب شعبه على لسان إرميا قائلًا: "أَتَسْرِقُونَ **وَتَقْتُلُونَ**.. ثُمَّ تَأْتُونَ وَتَقِفُونَ أَمَامِي..." (إر٧: ٩، ١٠).

ويقول على لسان إشعياء: "فَحِينَ تبْسُطُونَ أَيْدِيكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ.. **أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا**" (إش١: ١٥).

ولكن قد يسأل البعض قائلًا: إذًا لماذا قال الرب في العهد القديم:

"وَإِذَا أَحْدَثَ إِنْسَانٌ فِي قَرِيبِهِ عَيْبًا فَكَمَا فَعَلَ كَذلِكَ يُفْعَلُ بِهِ. **كَسْرٌ بِكَسْرٍ وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ**. كَمَا أَحْدَثَ عَيْبًا فِي الإِنسان كَذلِكَ يُحْدَثُ فِيهِ" (لا٢٤: ١٩-٢٠). راجع (خر٢١: ٢٣-٢٥).

"مَنْ ضَرَبَ إِنْسَانًا فَمَاتَ يُقْتَلُ قَتْلًا" (خر٢١: ١٢).

أليست هذه التعاليم في العهد القديم تشجع على الانتقام؟ عندما يعلِّم بأن من يخلع عينك تخلع عينه، ومن يكسر يدك تكسر يده... الخ.

نقول كلا... لعدة أسباب وهي:

أ – عندما أُعطيت هذه الشريعة كان المجتمع تحكمه قوانين الغابة. وكانت المجتمعات عبارة عن قبائل همجية، عندما تحدث مشاجرة بين شخصين ويكسر أحدهما ذراع الآخر، تهجم قبيلته على قبيلة الشخص الآخر وتقتل منهم عددًا كبيرًا. فجاءت شريعة العدل أو المعاملة بالمثل، وكأن الله يقول لهم "طبقوا العدل" إذا كسر إنسان يد آخر لا يجب أن تحطموا جسده كله بل تُكسَر يده فقط، وإذا قلع إنسان عين آخر، لا يجب أن تقتلوه، أو تقتلوا أولاده بل لتُقلَع عينه فقط. لقد كانت شريعة العدل، وهي بداية الرحمة، وكان هدفها الحد من الانتقام.

ب – يقول د. جون ستوت: "إن هذه الشريعة أُعطيت إلى قضاة بني إسرائيل كما توضح القرينة (تث١٩: ١٧–٢١)، ليطبقها القضاة وليس الأفراد، لأن موسى كان يكوِّن مجتمعًا مدنيًا له أسس وقواعد ومبادئ تقوم على العدالة والمساواة"[٢].

---

[١] وليم باركلي. تفسير إنجيل يوحنا، ج١، ص ١٩٧.

[٢] جون ستوت. الموعظة على الجبل، ص١١٩.

ج – في نفس الوقت نجد العهد القديم يعلّم بالمحبة والتسامح والغفران (أم ٢٤: ١٩، ٢٥: ٢١؛ خر٢٢: ٢١، ٢٣: ٤). فيمكن للفرد أن يسامح ويغفر ولا يلجأ للقضاء، كما هو اليوم.

(٥) إله العهد القديم يحذرنا من شهادة الزور:

فيقول في الوصية التاسعة من الوصايا العشر: "لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ" (خر٢٠: ١٦). راجع (أم٦: ١٦-١٨).

(٦) إله العهد القديم يحذرنا حتى من الغضب:

فيقول على لسان داود: "كُفَّ عَنِ **الْغَضَبِ**، وَاتْرُكِ السَّخَطَ" (مز٣٧: ٨). ويصل بنا إلى أعلى درجات الرقي فيقول على لسان الحكيم: "فِكْرُ الْحَمَاقَةِ خَطِيَّةٌ" (أم٢٤: ٩). راجع أيضًا: (أم١٤: ٢٩؛ أم١٥: ١؛ أم١٦: ٣٢)، (جا٧: ٩).

(٧) إله العهد القديم يبغض الكذب ويحب الصدق:

نهي الرب في العهد القديم عن الكذب فأوصى شعبه قائلًا: "لاَ تَقْبَلْ خَبَرًا كَاذِبًا"(خر٢٣: ١).

ويقول على لسان الحكيم: "كَرَاهَةُ الرَّبِّ شَفَتَا كَذِبٍ، أَمَّا الْعَامِلُونَ بِالصِّدْقِ فَرِضَاهُ" (أم١٢: ٢٢).

راجع: (مز٥: ٦؛ مز١٠١: ٧؛ أم٦: ١٦-١٨، أم ١٩: ٥).

(٨) إله العهد القديم يعلمنا الأمانة:

فيقول في الوصية الثامنة من الوصايا العشر: "لاَ تَسْرِقْ" (خر٢٠: ١٥). (لا١٩: ١١).

وأوصى الرب بأن يعوض السارق عن الشيء الذي سرقه بعدة أضعاف (خر٢٢: ١).

راجع: (لا٦: ١-٥؛ لا١٩: ٣٣-٣٦).

(٩) إله العهد القديم يحذرنا من المحاباة في إصدار الأحكام:

"لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ، لاَ فِي الْقِيَاسِ، وَلاَ فِي الْوَزْنِ، وَلاَ فِي الْكَيْلِ" (لا١٩: ٣٥).

"لاَ تُعَوِّجْ حُكْمَ الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ.." (تث٢٤: ١٧، ١٨).

"مُبَرِّئُ الْمُذْنِبِ وَمُذَنِّبُ الْبَرِيءِ كِلاَهُمَا مَكْرَهَةُ الرَّبِّ" (أم١٧: ١٥).

"اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ" (إش١: ١٧).

راجع: (خر٢٣: ١، لا١٩: ١٥، تث١: ١٧، إر٢١: ١٢).

(١٠) إله العهد القديم يعلمنا محبة العدو:

"لاَ تَكْرَهْ أَدُومِيًّا لأَنَّهُ أَخُوكَ. لاَ تَكْرَهْ مِصْرِيًّا لأَنَّكَ كُنْتَ نَزِيلًا فِي أَرْضِهِ" (تث ٢٣: ٧).

"لاَ تَفْرَحْ بِسُقُوطِ عَدُوِّكَ وَلاَ يَبْتَهِجْ قَلْبُكَ إِذَا عَثَرَ". (أم٢٤: ١٩).

"إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ خُبْزًا وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ مَاءً" (أم٢٥: ٢١).

"إِذَا صَادَفْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ أَوْ حِمَارَهُ شَارِدًا تَرُدُّهُ إِلَيْهِ" (خر٢٣: ٤).

(١١) إله العهد القديم يهتم بالفقير والمحتاج ويوصينا بذلك:

يقول الرب: "إِنِ ارْتَهَنْتَ ثَوْبَ صَاحِبِكَ فَإِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ تَرُدُّهُ لَهُ، لأَنَّهُ وَحْدَهُ غِطَاؤُهُ. هُوَ ثَوْبُهُ لِجِلْدِهِ. فِي مَاذَا يَنَامُ؟ فَيَكُونُ إِذَا صَرَخَ إِلَيَّ أَنِّي أَسْمَعُ لأَنِّي رَأُوفٌ" (خر٢٢: ٢٦، ٢٧).

"وَعِنْدَمَا تَحْصُدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ لاَ تُكَمِّلْ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي الْحَصَادِ. وَلُقَاطَ حَصِيدِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. وَكَرْمَكَ لاَ تُعَلِّلْهُ، وَنِثَارَ كَرْمِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. لِلْمِسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرُكُهُ" (لا١٩: ٩-١١). راجع (تث٢٤: ١٤، ١٥).

(١٢) إله العهد القديم يهتم باليتيم والأرملة ويوصينا بذلك:

فيقول الوحي عن الرب: "الْمُجْرِي حُكْمًا لِلْمَظْلُومِينَ، الْمُعْطِي خُبْزًا لِلْجِيَاعِ. الرَّبُّ يُطْلِقُ الأَسْرَى... الرَّبُّ يَحْفَظُ الْغُرَبَاءَ. يَعْضُدُ الْيَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ" (مز١٤٦: ٧-٩).

"الصَّانِعُ حَقَّ الْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ، وَالْمُحِبُّ الْغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَامًا وَلِبَاسًا" (تث١٠: ١٨).

ولذلك يحذّر شعبه قائلًا:

"مَلْعُونٌ مَنْ يُعَوِّجُ حَقَّ الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ" (تث٢٧: ١٩).

"هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَجْرُوا حَقًّا وَعَدْلًا، وَأَنْقِذُوا الْمَغْصُوبَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِ، وَالْغَرِيبَ وَالْيَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ. لاَ تَضْطَهِدُوا وَلاَ تَظْلِمُوا، وَلاَ تَسْفِكُوا دَمًا زَكِيًّا فِي هذَا الْمَوْضِعِ" (إر٢٢: ٣).

وأوصى بإخراج العشور للغريب واليتيم والأرملة. راجع: (تث١٤: ٢٨، ٢٩).

(١٣) إله العهد القديم يهتم بالعبد والأمة:

فأوصى بمنحهم أجازة أسبوعية مثل أسيادهم "سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، ١٠وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلًا مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ" (خر٢: ١).

"وَتَفْرَحُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَاللاَّوِيُّ الَّذِي فِي أَبْوَابِكَ، وَالْغَرِيبُ وَالْيَتِيمُ وَالأَرْمَلَةُ الَّذِينَ فِي وَسْطِكَ.." (تث١٦: ١١، ١٢).

وكان يمكنهم مشاركة سادتهم في الختان (تك١٧: ١٠-١٤، ٢٧)، وفي الأعياد (خر١٢: ٤٤، تث١٦: ١١، ١٤)، كما أوصى العهد القديم بالأمه، فكان من الممكن أن يتزوج بها سيدها أو ابن سيدها، فإذا قبحت في عينيه فإنه يطلقها حرة.

(١٤) إله العهد القديم يحب الغريب ويهتم به ويوصينا بذلك:

فيقول: "لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ هُوَ إِلهُ الآلِهَةِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ.. ١٨الصَّانِعُ حَقَّ الْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ، وَالْمُحِبُّ الْغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَامًا وَلِبَاسًا. ١٩فَأَحِبُّوا الْغَرِيبَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ" (تث١: ١٧-١٩).

ولقد حذر الرب شعبه من مضايقة الغريب أو اضطهاده (خر ٢٢: ٢١؛ خر٢٣: ١، ٩).

وأوصى الله أن تكون محبة الغريب كمحبة النفس فيقول: "وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكَ غَرِيبٌ فِي أَرْضِكُمْ فَلاَ تَظْلِمُوهُ. ٣٤كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمُ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ، وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ" (لا١٩: ٣٣-٣٤).

وأوصى الله بترك بقايا الحصاد للمسكين والغريب (لا١٩: ٩،١٠).

وسمح الله للغريب أن يعمل فصحًا للرب "وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكُمْ غَرِيبٌ فَلْيَعْمَلْ فِصْحًا لِلرَّبِّ. حَسَبَ فَرِيضَةِ الْفِصْحِ وَحُكْمِهِ كَذلِكَ يَعْمَلُ. فَرِيضَةٌ وَاحِدَةٌ تَكُونُ لَكُمْ لِلْغَرِيبِ وَلِوَطَنِيِّ الأَرْضِ" (عد٩: ١٤) وللغريب أن يعمل وقود رائحة سرور للرب (عد١٥: ١٤) وسمح له بتقديم ذبيحة خطية (عد١٥: ٢٩). ويدخلون في جماعة الرب (تث٢٣: ٧، ٨).

(١٥) إله العهد القديم يطالبنا بالرحمة والحق:

فيقول الرب لشعبه:

"إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً وَمَعْرِفَةَ اللهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَاتٍ" (هو٦:٦).

"قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإنسان مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ" (مي٦:٨). راجع: (عا٥: ٢١-٢٤).

(١٦) إله العهد القديم يحذرنا من اشتهاء ما للغير:

فتقول الوصية العاشرة: "لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ" (خر٢٠: ١٧).

(١٧) إله العهد القديم أوصى بالرفق بالحيوان:

فقد أمر الرب بإراحة الحيوان في اليوم السابع (خر٢٣: ١٢). وأوصى الله بترك الأرض في السنة السابعة بلا زراعة لكي تجد حيوانات البرية طعامها في هذه الأرض (خر٢٣: ١٠، ١١).

ويقول: "الْمُنْبِتُ عُشْبًا لِلْبَهَائِمِ، وَخُضْرَةً لِخِدْمَةِ الإنسان، لإِخْرَاجِ خُبْزٍ مِنَ الأَرْضِ" (مز١٠٤: ١٤).

ومن مظاهر الرفق بالحيوان يقول الرب: "لاَ تَحْرُثْ عَلَى ثَوْرٍ وَحِمَارٍ مَعًا" (تث٢٢: ١٠)، لأن قوة وسرعة الثور تختلف عن قوة وسرعة الحمار، فحتى لا يُنهَك الحمار جاءت هذه الوصية. كما أوصى الله من جهة الثور الذي يدرس قائلًا: "لاَ تَكُمَّ الثَّوْرَ فِي دِرَاسِهِ" (تث٢٥: ٤).

ما أروع إلهنا:

هذا هو إلهنا كما أعلن لنا عن نفسه في العهد القديم، إنه إله المحبة والرحمة والرأفة والغفران، هذا هو الذي ظهر لنا في شخص المسيح كما يقول الرسول بولس:

"وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: **اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ**" (١تي٣:١٦).

وقال أيضًا: "الَّذِي هُوَ صُورَةُ (μορφη) اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ" (كو١:١٥).

وكلمة (صُورَةُ) في اللغة اليونانية هي (μορφη) (مورفي) تعني ذات طبيعة وجوهر الله[٣].

وترد في بعض الترجمات كالآتي:

(NIV) In the Very Nature of God

[٣] Word studies in the N.T.,V.4, P563.

في طبيعة الله ذاته

(CEV) Christ is exactly like God, who cannot be seen.

المسيح هو بالضبط مثل الله، الذي لا يمكن رؤيته.

ويقول البشير يوحنا عنه:
"اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ" (يو١:١٨).

وعندما نرجع للنص اليوناني المحقق للعهد الجديد[4]، سنجد الآية كالآتي:

Θεὸν (God) οὐδεὶς (no one) ἑώρακεν (has seen) πώποτε (ever yet); μονογενὴς (the only begotten) Θεὸς (God), b ὁ (the One) ὢν (being) εἰς (in) τὸν (the) κόλπον (bosom) τοῦ (of the) Πατρὸς (Father), ἐκεῖνος (He) ἐξηγήσατο (has made Him known).

وترجمتها: اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ، الإله، الّكائن فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ.

وهذا المعنى نجده في معظم ترجمات الكتاب المقدس العربية والإنجليزية الحديثة:

(ت ب) أَللهُ لم يَرَهُ أَحدٌ قطّ؛ **أَلإِلهُ، الابْنُ الوحيدُ**، الذي هُوَ في حِضْنِ الآبِ، هُوَ نفسُهُ قد أَخبَر.

(ت ع م) ما مِنْ أحدٍ رأى اللهَ. **الإلهُ الأوحَدُ الّذي في حِضنِ الآبِ** هوَ الّذي أخبرَ عَنهُ.

وستجد نفس المعنى في معظم التراجم الإنجليزية:

(NRSV, NCV, ICB, EXB) But God, the only Son.

ولكن الله، اَلابْنُ الْوَحِيدُ

ألم يقل كاتب الرسالة إلى العبرانيين أيضًا:

"الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ (χαρακτήρ)، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ" (عب١: ٣).

وتعبير (رَسْمُ جَوْهَرِهِ) يرد في بعض الترجمات كالآتي:

(NIV) and the exact representation of his being

التمثيل الدقيق لكيانه

(BBE) the true image of his substance

الصورة الحقيقية لطبيعته

[4]The Greek New Testament. NESTLE-ALAND, Novum Testamentum Graece, 27th edition Stuttgart, 1995.

(ERV) He is a perfect copy of God's nature,

وهو النسخة الكاملة من طبيعة الله

(ESV) and the exact imprint of his nature,

البصمة الدقيقة لطبيعته

(GW) (ISV) and the exact likeness of God's being.

الشبه الدقيق لوجود الله

ألم يقل هو عن نفسه:

"أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يو ١٠: ٣٠).

"اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يو ١٤: ٩).

"أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ" (يو ١٤: ١٠).

ولكن للأسف:

"إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ" (٢كو ٤: ٤).

الفصل الرابع

حروب سفر يشوع

بعد أن عرفنا من الفصول الثلاثة السابقة كيف أن إله العهد القديم هو إله العهد الجديد (إله واحد)، لا يعرف العنصرية ولا التمييز بين شخص وآخر، ولا بين شعب وآخر، وأنه إله الرأفة والرحمة، سوف ندرس في هذا الفصل حروب سفر يشوع، وقد اخترت هذه الحروب بالذات لسببين:

الأول: لأنها تمت بأمر الرب. فهناك فرق كبير بين الحروب التي تمت بأمر الرب، والحروب الأخرى التي خاضوها لأسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية...الخ. والتي سجلها لنا الوحي لنتعلم منها، بالرغم من أن الرب لم يأمرهم بها، ولم يكن يريدها، لأنه لا يحب العنف ولا القتل ولا الكراهية، بل يدعونا للحب والسلام مع كل الناس، وعندما اختار بني إسرائيل، اختارهم لينشروا حبه ونوره ونعمته لكل الشعوب التي من حولهم لا ليحاربوهم ويستولوا على أراضيهم.

والثاني: هو أن هناك هجومًا شرسًا على هذه الحروب من غير الفاهمين، الذين يقرأون بسطحية ما سجله الوحي، دون دراسة القرائن، والخلفيات التاريخية، وخاصة لأن الوحي سجل لنا في سفر يشوع ٣١ حربًا خاضها يشوع في الأصحاحات من ٦-١١ فنقرأ:

• عند اقتحام أريحا: "وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا، إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ" (يش٦: ٢١، ٢٤).

• وعند اقتحام عاي: "فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: "مُدَّ الْمِزْرَاقَ الَّذِي بِيَدِكَ نَحْوَ عَايٍ لأَنِّي بِيَدِكَ أَدْفَعُهَا". فَمَدَّ يَشُوعُ الْمِزْرَاقَ الَّذِي بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ... وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ وَأَخَذُوهَا، وَأَسْرَعُوا وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ... وَكَانَ لَمَّا انْتَهَى إِسْرَائِيلُ مِنْ قَتْلِ جَمِيعِ سُكَّانِ عَايٍ فِي الْحَقْلِ فِي الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَحِقُوهُمْ وَسَقَطُوا جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى فَنُوا.. فَكَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رِجَال وَنِسَاءٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، جَمِيعُ أَهْلِ عَايٍ... وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلًّا أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هذَا الْيَوْمِ" (يش٨: ١٩-٢٨).

• عند اقتحام حاصور: "وَضَرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمُوهُمْ، وَلَمْ تُبْقَ نَسَمَةٌ، وَأَحْرَقَ حَاصُورَ بِالنَّارِ. فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مُدُنِ أُولئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمَهُمْ كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ" (يش١١: ١١، ١٢).

• وتتكرَّر في سفر يشوع عبارة أنه: "ضرب بحد السيف وحرَّم كل نفس حتى لم يبقَ شاردًا" عند اقتحام مقيدة، ولبنة، ولخيش، وعجلون، وحبرون، ودبير، وكل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح (راجع يش١٠: ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠).

وهنا يقول دكتور مصطفى محمود: "وجعلوا من الرب طاغوتًا دمويًا يستبيح لهم جميع الأمم"[١].

[١] مصطفى محمود. التوراة، ص ٢٧.

ويقول دكتور محمد عمارة: "وجدنا الأوامر الإلهيَّة أن تدعوهم إلى تدمير كل الأغيار من البشر إلى الشجر إلى الحجر، ومن الحيوان إلى الطبيعة، ومن الكبار إلى الأطفال، ومن الرجال إلى النساء".[٢]

ويقول علاء أبو بكر: "كيف تصف يا نصراني الرب الخالق لأولادك؟ فإن قلت له أنه إله المحبة.. هل لم يكن إله للمحبة عندما أوحى إلى موسى والأنبياء أن يبيدوا الأمم؟ وأن يقتلوا الأطفال؟ وأن يقتلوا الرضع؟ وأن يبيدوا النساء؟ فكيف يكون إله للمحبة وهو يأمر بالقتل والحرب والإبادة؟! أم هل تغيرت صورته وتجمَّل وعمل (نيو لوك) ليعجب عبيده"[٣].

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن:

لماذا أمر الله يشوع بإبادة الكنعانيين؟

قبل أن ندرس هذه الحروب أرجو أن تتذكر هذين الحقيقتين؛ إن الله في العهد القديم قبل الجديد:

(١) يدين العنف والقتل:

- يقول في الوصية السادسة: "لاَ تَقْتُلْ" (خر٢٠:١٣)
- (أم٦: ١٧) هذِهِ السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ، وَسَبْعَةٌ هِيَ مَكْرُهَةُ نَفْسِهِ: عُيُونٌ مُتَعَالِيَةٌ.. أَيْدٍ سَافِكَةٌ دَمًا بَرِيئًا..
- (أم٢٤: ٩) "فِكْرُ الْحَمَاقَةِ خَطِيَّةٌ".

(٢) علَّم شعبه محبة كل إنسان:

- (أم٢٥: ٢١) إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ خُبْزًا وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ مَاءً
- (خر٢٣: ٤) إِذَا صَادَفْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ أَوْ حِمَارَهُ شَارِدًا تَرُدُّهُ إِلَيْهِ.
- (تث٢٣: ٧) "لاَ تَكْرَهْ أَدُومِيًّا لأَنَّهُ أَخُوكَ. لاَ تَكْرَهْ مِصْرِيًّا لأَنَّكَ كُنْتَ نَزِيلاً فِي أَرْضِهِ".

إذن لماذا أمر الله يشوع بإبادة الكنعانيين!؟

(١) لغة الحروب لغة تهويلية:

في البداية أرجو أن ندرك أمرًا في غاية الأهمية وهو أن علماء العهد القديم باختلاف مدارسهم الفكريّة لاحظوا أن السِّمة العامَّة لنصوص الشَّرق الأدنى القديم هي المبالغة والتهويل في وصف الانتصارات الحربية، ليس بهدف الكذب والتزوير، لكن كنوع من الفخر والدعاية السياسيّة المقبولة في ذلك الوقت.

مثال ذلك: وُجِد على الحجر الموآبي الأثري القديم كلام ميشا ملك موآب، حيث يقول: {حاربت مدينة "عتاروث" من سبط جاد وأخذتها وذبحت كل الرجال إكرامًا للإله كموش إله موآب. وأخذت مدينة "نبو" من إسرائيل وذبحت كل سكانها سبعة آلاف، حتى رؤساء القبائل والنساء والأطفال لأن كموش لعنها}.

---

[٢] نصحي خليل شنودة. مقالات وتصحيح المفاهيم، جـ٢، ص ٢٢.

[٣] البهريز. جـ١ ص ١٤٠.

وهذا يعني إننا لا نتعامل في سفر يشوع مع تقرير واقعي دقيق عند وصف الإبادة الكاملة، فقتل الأطفال والنساء والشيوخ يبدو أن فيه مبالغة أدبيّة حسب عادة الشعوب في ذلك الزَّمن، فلا يجب أن نفهم الأمر حرفيًّا.

وهذا الأسلوب الذي فيه قدر من المبالغة ما زالت الدول تستخدمه إلى هذا اليوم في وصف انتصاراتها!

وحتى نحن كأفراد كثيرًا ما نستخدم هذا الأسلوب فنقول مثلًا: الأهلي دمر الزمالك في المباراة الماضية، وفي الأسبوع التالي نجد الزمالك يلعب وينتصر... وهكذا.

وهذا ما حدث بالضبط مع الشعوب التي حاربها يشوع، فبالرغم من أن سفر يشوع يذكر أن يشوع قضى عليهم تمامًا، إلا أننا عندما نقرأ سفر القضاة وكذلك الأخبار (١أخ١١) نجد أن هذه الشعوب مازالت موجودة وسط إسرائيل. بل ونجد إسرائيل يختلط بهذه الشعوب، ويعبد آلهتها، ولذلك قال لهم الرب:

"فَأَنَا أَيْضًا لاَ أَعُودُ أَطْرُدُ إِنْسَانًا مِنْ أَمَامِهِمْ مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ يَشُوعُ عِنْدَ مَوْتِهِ. لِكَيْ أَمْتَحِنَ بِهِمْ إِسْرَائِيلَ: أَيَحْفَظُونَ طَرِيقَ الرَّبِّ لِيَسْلُكُوا بِهَا كَمَا حَفِظَهَا آبَاؤُهُمْ، أَمْ لاَ" (قض٢: ٢١-٢٣).

ونقرأ أيضًا: "فَسَكَنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، ٦وَاتَّخَذُوا بَنَاتِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً، وَأَعْطُوا بَنَاتِهِمْ لِبَنِيهِمْ وَعَبَدُوا آلِهَتَهُمْ" (قض٣: ٥، ٦).

فواضح أن الحكم بالقضاء على هذه الشعوب لم يتحقق إلاَّ جزئيًا، وأن مَن قُتِل من هذه الشعوب هو عدد قليل السكان، وهذا لا يقلل إطلاقًا من صدق الوحي، فقط علينا أن ندرك أن هذا النص هو نص أدبي قصصي كان معروفًا في ذلك الوقت بالمبالغة. وأيضًا لا يقلل من أن هناك إشكالية كبيرة وهي أن الحرب تمت بناء على أمر الرب، وأن هناك عدد كبير من القتلى.

(٢) الاكتشافات الأركيولوچيَّة ومفهوم التحريم:

ما يؤكد فكرة "المبالغة في وصف الانتصارات" التي ذكرتها في النقطة السابقة، هو أنه لا يوجد أي دليل أثري على وجود أعداد ضخمة من القتلى في المناطق التي دخلها يشوع واقتحمها واستولى عليها، فبحسب الاكتشافات الأركيولوچيَّة الحديثة لا وجود لبقايا عظام أموات أطفال ونساء وشيوخ بالأعداد الكبيرة الموصوفة في سفر يشوع، وهذا ما يؤكد لنا أن الغزو كان في معظمه طرد وإزاحة وليس تحريم وإبادة.

وقد جاء في معجم اللاهوت الكتابي أن الأصل السامي الذي يُشتَق منه لفظ "الحِرْم" Anatheme يعني "التنحية جانبًا" و"يحظر استعماله الدنيوي". إن إسرائيل عندما يُوقع على الغنيمة حِرْمًا، أي أنه يزهد في أن يخص ذاته بالانتفاع بها، ويتعهد بنذرٍ أن يكرّسها ليهوه (عد٢١: ٢-٣، يش ٦) ويترتب على هذا التكريس الإجهاز على الغنيمة إجهازًا تامًا، سواء كانت من الكائنات الحيَّة أو من الأشياء المادية على السواء، ولكن يبدو أن التطبيق في الحياة العملية، كان نادرًا للغاية. فمعظم المدن الكنعانية قد احتلها إسرائيل احتلالًا (يش٢٤: ١٣، قض١: ٢٧-٣٥). بل إن بعض تلك المدن قد أبرمت مع إسرائيل معاهدات، كجبعون (يش ٩).[٤]

[٤] معجم اللاهوت الكتابي. ص ٢٦٢.

وأنا أؤكد مرة ثانية أن هذا لا يقلل من أن هناك إشكالية كبيرة وهي أن الحرب تمت بأمر الرب، ويبقى السؤال: لماذا؟

وفي النقاط القادمة سأقدم الإجابة.

(٣) لأن الله قدوس:

الله يعاقب لأنه قدوس لا يطيق الشر، ويريد أن يكون معروفًا لكل العالم بذلك، فهو مختلف عن كل الآلهة، وقد أعلن عن كراهيته للشر والخطية، ولأنه يريد أن يعيش كل إنسان في قداسة، توعَّد كل من يعيش في الشر بالعقاب الشديد، فتقع عليه اللعنة هو وممتلكاته، ويتعرض للأوبئة والحصار والضيقة ومذلة الأعداء والسبي.. إلخ. راجع (تث٢٨: ١٥–٦٨)[٥].

وقد كان القتل عقوبة إلهية:

فقد أمر الرب بقتل كل من يجدّف عليه: "وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الاسْمِ يُقْتَلُ" (لا٢٤: ١٦).

وكذلك أمر الله بقتل كل من يعبد آلهة أخرى، أو يُحرِّض الآخرين على عبادتها (تث١٧: ٢–٥).

"وَإِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ" (لا٢٠: ٢٧).

كذلك أمر الله بقتل الزاني والزانية "وَإذا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ" (لا٢٠: ١٠).

في ضوء هذا نجد الرب يعاقب العديد من الشعوب:

- **عاقب العالم كله بالطوفان** (تك٦: ٥–٧).
- **عاقب سدوم وعمورة (تك ١٩):**

فقد أحرق سدوم وعمورة بالنار لفسادهما وهاتان القصتان مذكورتان أيضًا في القرآن كعقاب من الله للإنسان.

عاقب عَمَالِيقَ والكنعانيين وغيرهم:

وعاقبهم ليس فقط لأنهم شعب شرير، ولكن أيضًا لأنهم ينشرون الخطية والشر في الشعوب المجاورة لهم.

(٤) لأن الله قاضي عادل:

منذ بدء الخليقة وضع الله نظامًا للبشر وهو أن الأعمال التي يعملها الإنسان سواء كانت صالحة أم شريرة لها نتائج وتبعات، والنتائج من ذات الأفعال، وهذا ما يسميه علماء اللاهوت بالنتيجة الطبيعية للأفعال البشرية. فما نطلق عليه عقاب أو قضاء إلهي ما هو إلا نتيجة طبيعية للأعمال الشريرة.

في ضوء هذا نقول: إن الرب عندما طلب من يشوع دخول كنعان وتحريم بعض المدن وساعده على ذلك فهذا لأنه قاضي عادل، ولأن هذه هي النتيجة الطبيعية لأفعالهم.

وهنا نرى الله القاضي العادل "الرحيم" بعد أن صبر عليهم أربعة قرون لم يتوقفوا فيها عن الشر والفساد والنجاسة، وبالرغم من

[5]Norman Geisler and Thomas Howe. When Critics Ask. A popular Handbook on Bible Difficulties, p. 311.

أن الله أعطاهم مدة طويلة للتوبة لم يرتدعوا، فكان قضاء الرب عليهم بعد أن أعطاهم مئات الفرص للتوبة، وأطال أناته عليهم ٤٠٠ سنة.

وهذا القضاء ما هو إلا النتيجة الطبيعية لأفعالهم الشريرة، فيقول الرب: "كَطَرِيقِهِمْ أَصْنَعُ بِهِمْ، وَكَأَحْكَامِهِمْ أَحْكُمُ عَلَيْهِمْ فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ" (حز٧:٢٧). راجع أيضًا: (إر٦: ١٩؛ هو٨: ٧؛ ١٠: ١٣؛ إر١٧: ١٠، ٣: ١٩). أو بلغة أخرى: الله يسلمهم إلى النتيجة الطبيعية لاختياراتهم وأفعالهم، فيقول على لسان حزقيال: "جَلَبْتُ طَرِيقَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ" (حز٢٢: ٣١).

لذلك ينبغي أن من يقرأ قصة الشعب الكنعاني عليه أن يدرسها من بدايتها وليس من نهايتها، وأن يتابع الأحداث من أولها، فقد كان قد فاض كأس إثمهم وجاء وقت العقاب[٦].

(٥) كانت حروبًا قضائية عقابًا لشرورهم:

هل تعلم إلى أي مدى بلغ شر وانحطاط الشعب الكنعاني؟!

لقد كان الكنعانيون يعبدون آلهة عديدة مثل: بعل، وهدد إله العاصفة، وعشتاروث، وعناة، ولم يكن للكنعانيين معابد أو هياكل، فيقول المطران يوسف الدبس: "كانوا يعبدون آلهتهم على قمم الجبال والمشارف، فيقيمون هناك عمودًا أو نصبًا أو صخرًا يسمونه بيت إيل، أي مسكن الرب، فيعبدونه ويجلونه، وعنهم أخذ بنو إسرائيل المشارف"[٧].

وقد انحدرت الشعوب الكنعانية إلى أحط أنواع الرذيلة، وتوغلوا في الشر، وشابهوا في سلوكهم سدوم وعمورة، حتى أنهم كانوا يقدمون أبنائهم ذبائح للأصنام، وكانت كاهنات المعبد يمارسن البغاء المقدس، فيعتبرنَّ الزنا من طقوس العبادة.

ويقول القمص مكسيموس وصفي: "كان أشر ما في حياة الكنعانيين هو عبادتهم التي اقترنت ممارستها بتقديم الذبائح البشرية، وأنواع أخرى من الشر مثل الزنى والسكر بالخمر والمجون. وقد انتشرت تلك العبادات في كل من شرق وغرب الأردن، وقد اكتُشِفت في عمان (عاصمة المملكة الأردنية) وهي أرض العمونيين، أعداد كبيرة من بقايا عظام أطفال محروقة بالنار قُدِّمت للإله مولك وكوش إله الموآبيين (١مل١١: ٥)[٨].

ويقول المطران يوسف الدبس: "وأسوأ ما في ذلك تقدمة الضحايا إكرامًا لمولك، إذ كان الآباء أنفسهم يطرحون أولادهم في النار المضطرمة، ومصدر هذا الأمر المخيف تصوُّرهم طبع الإله ناريًّا، واعتقادهم شيئًا من الألوهية في النار، فيضحون بأولادهم ليشتركوا في شيء من الألوهية أو يسترضوا الإله المتغضب. وكانوا يقدمون غالبًا بكر أولادهم أو أحدث مولود لهم معتقدين أنهم بذلك يكرّمون الإله بأغلى ما يملكون"[٩].

ويضيف الدبس، أيضًا "كان كهنة بعل وعشتار عند الفينيقيين في أعيادهم يلبسون ملابس النساء ويخضبون وجوههم بالحمرة، ويزجّجون حواجبهم، ويكحلون عيونهم، ويعرُّون أيديهم، ويحملون بأيديهم سيوفًا وحرابًا، ويتأبطون دفوفًا أو معازف يضربون بها،

---

[6] Walter C. Kaiser, Peter H. David, F. F. Bruce, and Manfred T. Brauch. Hard Sayings of the Bible, p. 257.

[٧] تاريخ الشعوب الشرقية في الدين والسياسة والاجتماع. ج ١، ص ٣٣٨، ٣٣٩.

[٨] المرشد الجغرافي التاريخي للعهد القديم. ص ٨٦.

[٩] تاريخ الشعوب المشرقية في الدين والسياسة والاجتماع . ج ١، ص ٣٣٦، ٣٣٧.

ويرقصون ويضجون ويدورون على عقب واحد، وينعطفون برأسهم إلى الأرض عند دورانهم فيمرغون شعورهم بالوحول، ويعضُّون أذرعهم، ويخدشون أجسامهم بسيوف وحراب (١مل١٨: ٢٨) فإذا سال دمهم قدموه ضحية لآلهتهم الدموية"[١٠].

ويقول زينون كوسيدوفسكي عن الإله "مُولك": "أبشع جوانب طقس هذا الإله أن تابعية كانوا يقدمون له قرابين بشرية وخصوصًا الأطفال، وأكثر ما انتشر هذا التقليد السيئ في قرطاجنة، نعم لقد دلت الاكتشافات الأثرية على أن الكنعانيين ظلوا لفترة طويلة بعد التغلغل الإسرائيلي يقدمون الأطفال قرابين للآلهة، وقد وُجدت هناك مقبرة كل المدفونين فيها من الأطفال وعلى بقايا عظامهم آثار واضحة للحرق. وكان الكنعانيون يحرقون الأطفال قربانًا للآلهة ثم يضعونهم في آنية ويدفنونها في التراب"[١١].

ويقول جان مازيل: "من الواضح إذًا أن البغاء المقدَّس كان يُمارس في المعابد الفينيقية، ومن المحتمل أيضًا أن طقوسًا جماعية بهذا الصدد كانت تُمارس حسب تغيُّرات الفصول لاستنزال النعم السماوية والخصوبة للأرض"[١٢].

كما يحدثنا "مازيل" عن الانحطاط الخُلقي في العبادة القبرصية، ومن المعروف أنه كان هناك تبادل تجاري بين قبرص وأرض كنعان، فيقول: "كانت قبرص تشتهر بمعبد أفروديت في باخوس.. وكانت تقوم بخدمة ذلك المعبد راهبات نذرن أنفسهن للبغاء المقدَّس.. ويصف لنا سترابون معبد "كورنث" بأنه فائق الشهرة.. وكان يوجد في ذلك المعبد حوالي مئة راهبة منكبَّات على ممارسة العبادة وقد نذرن أنفسهن للهوى. وكانت متطلباتهن الكثيرة قد عادت على المعبد بموارد هائلة".[١٣]

وجاء في دائرة المعارف الكتابية: "لقد كشفت الحفريات الأثرية عن أن تلك الشعوب وصلت إلى الدرك الأسفل في ممارستها الجنسية فجلبوا الدمار على أنفسهم بانغماسهم في الفساد"[١٤].

وأيضًا: "أُكتشف في بيبلوس في فينيقية مركزًا كان مخصصًا لعبادة "عناة" من الواضح أنها كانت تُمارس فيه الدعارة الدينية الفاضحة وطقوس الخصوبة الجنسية، فوُجِدَت هناك تماثيل صغيرة عارية لإناث.. وفي عصر العمارنة كان للديانة الكنعانية العريبدة تأثيرها في الشرق الأوسط.. ويبدو أن الكنعانيين كانوا يحتفلون بأربعة أعياد رئيسية لها علاقة بالزراعة، وكانت هذه الأعياد على الدوام مواسم للعربدة والسكر والإفراط في الممارسات الجنسية، فمن الواضح أن الديانة الكنعانية كانت أكثر الديانات انحطاطًا في الأمور الجنسية في العالم القديم".[١٥]

ولذلك أوصى الله شعبه قبل أن يدخلوا هذه الأرض قائلًا: "هذِهِ هِيَ الْفَرَائِضُ وَالأَحْكَامُ الَّتِي تَحْفَظُونَ لِتَعْمَلُوهَا فِي الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ.. ٢تُخْرِبُونَ جَمِيعَ الأَمَاكِنِ حَيْثُ عَبَدَتِ الأُمَمُ الَّتِي تَرِثُونَهَا آلِهَتَهَا عَلَى الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ، وَعَلَى التِّلاَلِ، وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ ٣وَتَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ سَوَارِيَهُمْ بِالنَّارِ، وَتَقْطَعُونَ تَمَاثِيلَ آلِهَتِهِمْ، وَتَمْحُونَ اسْمَهُمْ مِنْ ذلِكَ الْمَكَانِ" (تث١٢: ١-٣).

---

[١٠] المرجع السابق ص ٣٣٨

[١١] الأسطورة والحقيقة في القصص التوراتية. ترجمة د. محمد مخلوف، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

[١٢] تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ربا الخش. ص ١٩.

[١٣] تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ربا الخش. ص ٨٣.

[١٤] دائرة المعارف الكتابية، جـ٦، ص ٣٢.

[١٥] المرجع السابق ص ٣٩٨، ٣٩٩.

وحذرهم من أرجاس هذه الشعوب:

(تث١٢: ٣١) "لاَ تَعْمَلْ هكَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، لأَنَّهُمْ قَدْ عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ كُلَّ رِجْسٍ لَدَى الرَّبِّ مِمَّا يَكْرَهُهُ، إِذْ أَحْرَقُوا حَتَّى بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ بِالنَّارِ لآلِهَتِهِمْ".

"مَتَى دَخَلْتَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لاَ تَتَعَلَّمْ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ رِجْسِ أُولئِكَ الأُمَمِ. لاَ يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ... لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ الرَّبِّ. وَبِسَبَبِ هذِهِ الأَرْجَاسِ، الرَّبُّ إِلهُكَ طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ (ع ٩-١٢).

(٦) كان القضاء محددًا لهذا الشعب فقط:

ولأن الله بار وعادل ويحب العدل، ولا يميز بين شعب وآخر، ويحب كل الأمم وكل الشعوب، لذلك نراه يقول لبني إسرائيل عندما كانوا في طريقهم إلى كنعان:

"أَنْتُمْ مَارُّونَ بِتُخْمِ إِخْوَتِكُمْ بَنِي عِيسُو السَّاكِنِينَ فِي سَعِيرَ، فَيَخَافُونَ مِنْكُمْ فَاحْتَرِزُوا جِدًّا ٥لاَ تَهْجِمُوا عَلَيْهِمْ، لأَنِّي لاَ أُعْطِيكُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَلَا وَطْأَةَ قَدَمٍ، لأَنِّي لِعِيسُو قَدْ أَعْطَيْتُ جَبَلَ سَعِيرَ مِيرَاثًا" (تث٢: ٤-٥).

وهذا يؤكد أن الحروب لم تكن حروبًا استعمارية، ولا لنشر الدين بالقوة.

ولأن الله هو خالق كل الشعوب، وقاضي البشرية، لذلك يهتم ببني عيسو ويعطيهم أرضًا كما يهتم ببني يعقوب. بل وأرجو أن تلاحظ روعة إلهنا عندما يقول لهم:

"طَعَامًا تَشْتَرُونَ مِنْهُمْ بِالْفِضَّةِ لِتَأْكُلُوا، وَمَاءً أَيْضًا تَبْتَاعُونَ مِنْهُمْ بِالْفِضَّةِ لِتَشْرَبُوا ٧لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ.. عَارِفًا مَسِيرَكَ فِي هذَا الْقَفْرِ الْعَظِيمِ... فَعَبَرْنَا عَنْ إِخْوَتِنَا بَنِي عِيسُو السَّاكِنِينَ فِي سَعِيرَ عَلَى طَرِيقِ الْعَرَبَةِ" (تث٢: ٦-٨).

وكذلك يهتم بمُوآب ويعطيهم أرضًا ليسكنوا فيها كما يهتم بإسرائيل.

"فَقَالَ لِي الرَّبُّ: لَا تُعَادِ مُوآبَ وَلاَ تُثِرْ عَلَيْهِمْ حَرْبًا، لأَنِّي لاَ أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِهِمْ مِيرَاثًا، لأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أَعْطَيْتُ "عَارَ" مِيرَاثًا" (تث٢: ٩).

(٧) كان الله طويل الأناة جدًا معهم:

يقول القس أمونيوس ميخائيل: "إن الله لم يكن ظالمًا في معاقبة هذه الشعوب المعاندة، لأنه منحها الفرصة للتوبة مئات السنين ولم تتب.. كما أن وجودهم كان يشكل خطرًا روحيًا واجتماعيًا على العالم كله. هذه إلى جانب أنهم كانوا في موقف عداء مع الله ذاته، والله اختار بني إسرائيل الوسيلة التي ينفذ بها أحكامه عليهم".

ويقول ف. ب. ماير: "هنالك عدة أسباب تبين لماذا كان يجب أن يطرد الله الشعوب السبعة التي سكنت كنعان. وأهم هذه الأسباب ذلك الذي نتبينه من الحديث الرائع الذي دار بين الرب وإبراهيم، أب الجنس المختار، قبل ذلك بأربعة أجيال، ألاَّ وهو أن ذنب الأموريين الآن قد كمل".

فَقد قَالَ الرب لأَبْرَامَ: "اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ ١٤ثُمَّ الأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا، وَبَعْدَ ذلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاَكٍ جَزِيلَةٍ... ١٦وَفِي الْجِيلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ إِلَى هُهُنَا، لأَنَّ ذَنْبَ الأَمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَى الآنَ كَامِلًا" (تك١٥: ١٣-١٦).

وقد أعطاهم الرب زمان توبة ولكنهم لم يتوبوا بل زاد شرهم وأصبح مثل السرطان، فكان لابد من بتر هذا الورم السرطاني.

إن رحمة الرب تعطي الإنسان فرصه واثنين وثلاثة ولكن لابد أن يأتي دور العدل الإلهي في العقاب، وكان الرب يترك هذه الأمم مثل عَمَالِيقَ والكنعانيين والمديانيين زمان توبة يصل إلى عدة أجيال، ويستمر الرب في إرسال رسائل إنذار وتحذير، ومرشدين ومعلمين، لأن الرب أكدَّ وقال بوضوح: "مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلاَ شَاهِدٍ" (أع١٤: ١٧). فيأتي عدل الله ويُوقِّع العقاب والدينونة.

إن مثل هؤلاء الأمم بشرورهم وأصنامهم لا يؤذون أنفسهم فقط بل يؤذون الأمم الأخرى أيضًا، لذلك من حق الرب سيد ومالك كل الأرض أن يحمي الضعيف.

فالرب يتأنى على الخاطي لأنه لا يسر بموت الشرير، ويطيل رحمته، ولكن لو استمر هذا الخاطي في شره، سواء كان فردًا أو شعبًا، واستمر يُعثِر الآخرين، فرحمة الرب أيضًا تستلزم أن يحمي الضعيف، فيعاقب الشرير على خطاياه وهذه عدالة بالنسبة للشرير، ورحمة في نفس الوقت للضعيف لأنه تعثَّر بسبب الشرير. فقتل شخص أو جماعة هو عدل ورحمه في نفس الوقت، فمن العدل أن يُوقِّع الله العقاب على شخص أو أمة بعد أن يعطيها عشرات الفرص للتوبة ولا تتجاوب، وفي نفس الوقت رحمة للشعوب الأخرى التي لم تتمكن منها الخطية، وحماية لهم. وهذا هو ما فعله الرب مع الشعوب الشريرة التي كانت تنشر الخطية في العهد القديم.

ويجب أن نلاحظ هنا أن الله كقاض لم يكن بعيدًا عن أطراف القضية كالقاضي البشري في محكمة أرضية، لكن هو العالم ببواطن الأمور، وله علاقة بكل أطراف القضية، والكل خليقته، وصنعة يده.

(٨) لأن الله مسئول عن حماية خليقته:

استشرى شر هذه الشعوب مثل السرطان، وصاروا مصدر خطر على العالم كله، فكان لا بُد من استئصالهم، كما يُستأصل العضو المصاب بالسرطان لكيما ينجو الجسد كله، وهل الطبيب الذي يستأصل عضوًا يُهدّد الجسم يصير مُجرمًا؟!

لقد أراد الله أن يقتني له شعبًا مقدَّسًا، ومن خلال هذا الشعب يصير الخلاص للعالم كله ولذلك أوصاهم قائلًا "تماثيل آلهتهم تحرقون بالنار" (تث٧: ٢٥، ٢٦).. ولذلك كان من الضروري القضاء على هذه الشعوب، حتى لا تكون مصدر عدوى لشعب الله ولباقي الشعوب (تث ٢٠: ١٨). فأنه "بسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك" (تث ١٨: ١٢).

بل أن الخلاص من هذه الشعوب التي استشرت في الشر كان خير للبشرية ككل.. لماذا؟ لأن هذه الشعوب عاشت في منطقة إستراتيجية، ونقلت شرورها للعالم كله من خلال التجار والمسافرين، حتى صارت الأرض كلها مُهددة بالهلاك، ويقول الأب تادرس يعقوب: "ما حدث لم يكن لصالح شعب إسرائيل وحده، وإنما في الحقيقة هو لصالح البشرية عامة، فإن هذه المنطقة كانت مركزًا هامًا للتجارة، وكان التجار يحملون في أسفارهم مع معاملاتهم التجارية الفساد وكأنه "الموت الأسود" ليتحرك في كل اتجاه العالم المعروف حينذاك. لقد أراد الرب أن يعطي البشرية درسًا، وأن يحمي العالم من هذا الوباء. هذا ومن جانب آخر إذ كان الله يعد الشعب اليهودي ليكون خميرة للعالم في الشهادة له، أمر بإبادة كل فساد حولهم حتى ينشأوا في جو نقي".[١٦]

(٩) كانت إسرائيل أداة الرب لتنفيذ القضاء:

يقول ف. ب. ماير: "لنتذكر أن الإسرائيليين كانوا منفذي العدل الإلهي، أُرسِلوا لينفذوا الحكم الذي تستحقه رجاسات كنعان، فهنالك كرسي لدينونة الأمم كما لدينونة الأفراد. هذا الكرسي ينتصب في هذه الحياة، وهذه الدينونة تقوم والديان القدير يحرص

[١٦] الأب تادرس يعقوب. تفسير سفر يشوع، ص ٢٢.

على أن أحكامه تُنفَّذ. وله وكلاء كثيرون لتنفيذ حكمه، وقد كان إسرائيل منفذ الحكم على الأموريين الذين كان أثمهم قد كمل وقتئذاك، ويهدد بأن ينفث سموم شر وعدواة في كل العالم"[١٧].

ويقول د. القس صموئيل يوسف: "يتساءل المرء في حيرة: هل يأمر الله الإسرائيليين بقتل الشعوب الوثنية المجاورة لها؟ وكيف يتعقل المرء ذلك؟ ويجيب بعض العلماء: نعم. إن الله أمر بذلك للتطهير والتنقية. فقد استخدم الله إسرائيل كأداة عقاب لهذه الأمم الوثنية. كما أن الرب عاقب سدوم وعمورة أيام إبراهيم بالكبريت والنار الذي أمطره على الشعب من السماء دون أن يستخدم الوسائل البشرية (تك١٩: ٢٤)، وبالمثل عاقب الرب الإله شعب إسرائيل لعناده وقساوة قلبه وافتكاره أنه سيد الشعوب، وهو الشعب الذي اختاره الرب لذاته دون سائر الشعوب، فعاقبهم الرب بواسطة الشعوب الوثنية، التي كانت أداة غضب الله على إسرائيل، وذلك بواسطة آشور وبابل، وبقاء إسرائيل هناك في السبي سبعين عامًا (إر٢٥: ١٢).[١٨]

ويقول قداسة البابا شنودة الثالث: "إن وصية لا تقتل لا تعني أن الله قد حرَّم القتل عمومًا، إن الله الذي أعطى وصية لا تقتل أمر بإبادة بعض الشعوب الوثنية لئلا تؤثر على الإيمان.. والحكمة من ذلك أن الله هو صاحب الأرواح جميعًا، ومن حقه أن ينهي حياة الناس في أي وقت يشاء وبأي طريقة يشاء، فإذا شاء أن تنتهي حياتهم بموت طبيعي أو بمرض أو بنار من السماء أو بطوفان أو بأن يقتلوا بأيدي أعدائهم فهو حر في أن ينهي حياة الناس كيفما يشاء بالطريقة التي يريدها هو، وجعل الله القتل عقوبة واجبة التنفيذ على من يقترف بعض الذنوب"[١٩].

ونحن فعلًا عندما نقرأ العهد القديم نرى استخدام الله لطرق ووسائل مختلفة ومتنوعة لتحقيق أغراضه، إنه (رب الجنود) (يهوه صباؤوت) (יהוה צבאות)، وكما يقول د. والتر كيزر[٢٠]: "إنه سيد قوات السموات والأرض، الحاكم المطلق بقوته التي لا نظير لها" (١صم١٧: ٤٥؛ مز٢٤: ٧-١٠). فهو صاحب السلطان المطلق على الكون وعلى التاريخ، وهو الذي يستطيع أن يجند الطبيعة بكل ما فيها لخدمة أغراضه، وهو الذي يستطيع أن يجند حتى أعدائه لخدمة أغراضه. وكما تقول جويس بولدوين: "هو رب كل القوات التي تُرى والتي لا تُرى، والتي في الكون كله". إنه يستطيع أن يجند كل شيء وكل شخص وكل حدث وكل أمة لتحقيق أغراضه التي هي دائمًا للخير.

لذلك ليس غريبًا أن نجد الله عندما أراد أن ينفذ حكمه وقضاؤه على بني إسرائيل أن يقول: "وَأُحَطِّمُهُمُ الْوَاحِدَ عَلَى أَخِيهِ الآبَاءَ وَالأَبْنَاءَ مَعًا يَقُولُ الرَّبُّ" (إر١٣: ١٤).

ونجده في مرات أخرى يستخدم إمبراطوريات أو ملوك بعض الشعوب الأخرى لتنفيذ حكمه أو قضاءه على شعب إسرائيل، فمثلًا يستخدم الإمبراطورية الأشورية والإمبراطورية البابلية في تنفيذ قضاءه على شعب إسرائيل (إر٢١: ٧).

فليس مثيرًا ولا غريبًا أن نقرأ كيف أن الخالق يستخدم شعبًا غريبًا لتنفيذ أحكامه. ولكي ينفذ حكمه على إسرائيل فإن الله يدعو نبوخذ ناصر الملك البابلي (وهو ليس يهوديًا)، بعبدي أو خادمي الذي اختاره لتنفيذ هذا العقاب (إر٢٥: ٩، ٢٧: ٦، ٤٣: ١٠؛ إر٢٧: ٨).

---

[١٧] ف. ب. ماير. حياة يشوع، ص ١٧٦، ١٧٧.

[١٨] المدخل إلى العهد القديم، ص ١٩٦.

[١٩] البابا شنوده الثالث. الوصايا العشر، ص٦٩.

[٢٠] والتر كيزر. دعوة للنهضة. تعريب د.القس مكرم نجيب، ص١٤٣.

فقد يسلم الله شعبه لشعب آخر أو ليد أعدائهم (مز٨١: ١١-١٢؛ إش٣٤: ٢؛ ٤٣: ٢٨؛ ٤٧: ٦؛ ٦٤: ٦، ٧؛ إر٢٩: ٢١). ففي قدرته وسلطانه يستخدم القوى المتاحة في تلك الأيام لتأديب شعبه والشعوب الأخرى. ويمر التاريخ ويأتي الدور على عماليق أو كنعان أو بابل لتجرع من نفس الكأس الذي أسقته لإسرائيل (إر٥٠: ٢٩). فالحروب التي خاضها شعب إسرائيل، وساعدهم فيها الله، كانت تحقيق لعدالة السماء، وهذا هو حق الله في العقاب، وفي اختياره للطريقة التي ينفذ بها عقابه.

(١٠) الله توعد إسرائيل بنفس العقاب:

لأن الله عادل ويحب العدل، وبار ويحب البر، ولا يميز بين شعب وآخر، نجده يتوعد إسرائيل أكثر من مرة بنفس العقاب إن ارتكبوا نفس الخطايا التي ارتكبها الكنعانيون، فنقرأ:

- (تث٨: ١٩-٢٠) "وَإِنْ نَسِيتَ الرَّبَّ إِلهَكَ، وَذَهَبْتَ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدْتَهَا وَسَجَدْتَ لَهَا، **أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ أَنَّكُمْ تَبِيدُونَ لاَ مَحَالَةَ، كَالشُّعُوبِ الَّذِينَ يُبِيدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكُمْ كَذلِكَ تَبِيدُونَ**، لأَجْلِ أَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا لِقَوْلِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ".

- (تث٣٠: ١٦-١٧) "بِمَا أَنِّي أَوْصَيْتُكَ الْيَوْمَ أَنْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْلُكَ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ لِكَيْ تَحْيَا وَتَنْمُوَ. فَإِنِ انْصَرَفَ قَلْبُكَ وَلَمْ تَسْمَعْ، بَلْ غَوَيْتَ وَسَجَدْتَ لآلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدْتَهَا، **١٨فَإِنِّي أُنْبِئُكُمُ الْيَوْمَ أَنَّكُمْ لاَ مَحَالَةَ تَهْلِكُونَ**".

- (يش٢٤: ٢٠) "إِذَا تَرَكْتُمُ الرَّبَّ وَعَبَدْتُمْ آلِهَةً غَرِيبَةً **يَرْجِعُ فَيُسِيءُ إِلَيْكُمْ وَيُفْنِيكُمْ** بَعْدَ أَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ".

- "أَنْتُمْ أَسَأْتُمْ فِي عَمَلِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ آبَائِكُمْ. وَهَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ وَرَاءَ عِنَادِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ حَتَّى لاَ تَسْمَعُوا لِي. **فَأَطْرُدُكُمْ مِنْ هذِهِ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ لَمْ تَعْرِفُوهَا** أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ، فَتَعْبُدُونَ هُنَاكَ آلِهَةً أُخْرَى نَهَارًا وَلَيْلاً حَيْثُ لاَ أُعْطِيكُمْ نِعْمَةً" (إر١٦: ١٢-١٣).

فإن كانت حكمة الله الأزلية قد اختارت بني إسرائيل ليكونوا الأداة لتنفيذ عدله الإلهي على الكنعانيين فذلك لكي يتعلَّموا الدرس، ويوقنوا أن نهاية الشر الخراب والموت والدمار، وقد شدَّد الله على شعبه وحذرهم حتى لا يخالطوا هؤلاء الأمم ولا يصاهروهم لئلا يشتركوا في خطاياهم ويلاقوا نفس المصير وتلفظهم الأرض، فيقول لهم:

"٣مِثْلَ عَمَلِ أَرْضِ مِصْرَ... لاَ تَعْمَلُوا، وَمِثْلَ عَمَلِ أَرْضِ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا آتٍ بِكُمْ إِلَيْهَا لاَ تَعْمَلُوا، وَحَسَبَ فَرَائِضِهِمْ لاَ تَسْلُكُوا. ٤أَحْكَامِي تَعْمَلُونَ، وَفَرَائِضِي تَحْفَظُونَ لِتَسْلُكُوا فِيهَا. ٥فَتَحْفَظُونَ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي، الَّتِي إِذَا فَعَلَهَا الإِنْسَانُ يَحْيَا بِهَا. أَنَا الرَّبُّ.

٢٤"بِكُلِّ هذِهِ لاَ تَتَنَجَّسُوا، لأَنَّهُ بِكُلِّ هذِهِ قَدْ تَنَجَّسَ الشُّعُوبُ الَّذِينَ أَنَا طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ ٢٥فَتَنَجَّسَتِ الأَرْضُ. فَأَجْتَزِي ذَنْبَهَا مِنْهَا، فَتَقْذِفُ الأَرْضُ سُكَّانَهَا.. ٢٧لأَنَّ جَمِيعَ هذِهِ الرَّجَسَاتِ قَدْ عَمِلَهَا أَهْلُ الأَرْضِ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ فَتَنَجَّسَتِ الأَرْضُ. ٢٨فَلاَ تَقْذِفُكُمُ الأَرْضُ بِتَنْجِيسِكُمْ إِيَّاهَا كَمَا قَذَفَتِ الشُّعُوبَ الَّتِي قَبْلَكُمْ. (لا١٨: ١-٢٨) (راجع خر٢٣: ٣٢، ٣٣؛ لا٢٠: ٢٢-٢٦؛ تث٩: ١-٥؛ ١٨: ٩-١٣؛ ٢٩: ٢٣-٢٨، ٣١: ١٦، ١٧؛ يش٢٣: ١٥، ١٦).

(١١) عاقب الله إسرائيل كما عاقب الأمم:

لا يمكن اتهام الله بالمحاباة والعنصرية، فقد قضت الشريعة بقتل الزاني والزانية، وقد قتل الله من بني إسرائيل الذين زنوا مع بنات موآب بالوباء وكان عددهم أربعة وعشرين ألفًا (عد٢٧: ٩)، وهذا فعله الله مع الأمم بالتمام والكمال، فالله القدوس من رابع المستحيلات أن يقبل الشر، فقد حكم على الملائكة ذو الجمال والبهاء لأنهم سقطوا في الكبرياء، وقد حكم الله على آدم وهو الذي جبله على صورته ومثاله، لأنه لم يحفظ الوصية، فالله ليس لديه محاباة ولا تغيير ولا ظل دوران.

وعندما سقط الشعب القاسي الرقبة في عبادة العجل الذهبي قُتل منهم ثلاثة آلاف رجل (خر٣٢: ٢٧، ٢٨)، وعندما قدم ناداب وأبيهو ابني هارون نار غريبة خرجت نار وأكلتهما (لا١٠: ١، ٢)، وقورح وداثان وأبيرام الطامعون في الكهنوت خرجت نار الرب وأحرقت بعضهم، وخسفت الأرض بالباقين (عد١٦: ٣٢، ٣٣)، وحكم الله بالموت على جميع الرجال الخارجين من أرض مصر الذين يزيد عمرهم عن عشرين عامًا باستثناء يشوع وكالب بسبب تذمرهم (عد٣٢: ١٣)، وحكم الله على أية مدينة إسرائيلية تعبد آلهة أخرى "ضربًا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف. وتحرَّمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف.. وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة.. لا تُبنى بعد" (تث١٣: ١٥، ١٦). وسفر القضاة خير شاهد على تأديبات الله لشعبه، وأخيرًا سُلِبَت الأرض منهم وهدمت ديارهم واغتُصِبت ممتلكاتهم وعمل فيهم سيف التنكيل وسيقوا إلى أرض السبي (٢مل١٧: ٥-٢٣، ٢مل٢٥).

أليست النيران التي التهمت أريحا وعاي وحاصور هي ذات النيران التي أكلت عخان بن كرمى وأولاده ومواشيه؟!

أليست هي ذات النار التي التهمت مدينة جبعة التابعة لسبط بنيامين بكل من وما فيها؟!

أليست هي ذات النار التي قتلت ابني رئيس الكهنة هارون؟!

أليست هي ذات النيران التي أكلت رجال قورح المائتين والخمسين؟!

أليست هي ذات النار التي أكلت أورشليم بيد نبوخذ نصر؟!

أليست هي ذات النار التي أحرقت الهيكل مفخرة اليهود سنة ٧٠ م.؟!

فعلام الاعتراض على العدل الإلهي؟!

(١٢) ليس من العدالة أن نحكم على الماضي بمقاييس اليوم:

يقول زينون كوسيدوفسكي الذي طالما انتقد الكتاب المقدَّس: "يجب أن نتنبه هنا إلى أنه لا يمكن تقديم الحوادث التوراتية من منطلق المفاهيم الأخلاقية الحالية، فالحقبة التي يدور الحديث عنها كانت حقبة بربرية، والعادة الحربية التي انتشرت آنذاك سمحت بقتل الأسرى وسكان القلاع المحتلة وتشويه أو قتل الملوك، وبأتباع أساليب المكر والخداع والخيانة. من هذا المنطق كان الإسرائيليون أبناء بررة أوفياء لحقبتهم الزمنية، ولم يختلفوا عن بقية شعوب العالم القديم، فقد عرف الحروب الشاملة كل من البابليين والمصريين والأشوريين والإغريق كما يتضح من هوميروس"[٢١].

لذلك ليس من المنطق أن نحكم على ما حدث منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام بمقاييس اليوم ومبادئ حقوق الإنسان، فما كان سائدًا حينذاك هو الغزو والنهب وتقسيم الغنائم، ومصادرة الحق في الحياة عند استشعار الخطر، فهكذا فعل فرعون عندما أصدر قراره بقتل كل أطفال العبرانيين من الذكور، بل أن بني إسرائيل فيما بينهم في عصر القضاة وما بعده طالما نشبت بينهم الحروب وراح ضحيتها عشرات الألوف (قض١٢: ٦، قض٢٠).

وجاء في كتاب "غوامض العهد القديم": "يكفي أن نلاحظ بأن قتل كل الرجال بل وكل السكان القاطنين في مدينة مغلوبة كانت عادة عامة في الحرب في العصور الأولى".

---

[٢١] الأسطورة والحقيقة في القصص التوراتية. ص ١٨٧.

ويكفي أن نسجل هنا ما فعله الهكسوس بالبلاد المصرية، وقد وصف أحد شهود العيان ما حلَّ ببلادنا المصرية جراء هذا الغزو من حرق المدن، وهدم المعابد، والمذابح الجماعية، وبيع البشر في أسواق العبودية"[٢٢].

وعندما أراد فرعون مصر أن يقدم هدية لسليمان الملك الحكيم "صَعِدَ فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ وَأَخَذَ جَازَرَ وَأَحْرَقَهَا بِالنَّارِ، وَقَتَلَ الْكَنْعَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَعْطَاهَا مَهْرًا لابْنَتِهِ امْرَأَةِ سُلَيْمَانَ" (١مل٩: ١٦).

وكان نفس الأسلوب متبعًا بين أسباط بني إسرائيل:

– ماذا فعل جدعون بأهل سكوت الذين رفضوا أن يسعفونه بالطعام وهو يطارد ملكي مديان؟!

"أَخَذَ شُيُوخَ الْمَدِينَةِ وَأَشْوَاكَ الْبَرِّيَّةِ وَالنَّوَارِجَ وَعَلَّمَ بِهَا أَهْلَ سُكُّوتَ" (قض٨: ١٦) أي أنه خلطهم بالأشواك ودرسهم بالنوارج.. هل هناك ميتة أبشع من هذه؟!!

– ماذا فعل أبيمالك بن جدعون بأخوته السبعين؟!

"ثُمَّ جَاءَ إِلَى بَيْتِ أَبِيهِ فِي عَفْرَةَ وَقَتَلَ إِخْوَتَهُ بَنِي يَرُبَّعْلَ، سَبْعِينَ رَجُلًا" (قض٩: ٥).. فمن رأى مذبحة مثل هذه راح ضحيتها سبعون أخًا بيد شقيقهم؟!

– ماذا فعل أبيمالك بأخواله في شكيم؟!

"أخذ المدينة وقتل الشعب الذي بها وهدم المدينة وزرعها ملحًا" (قض٩: ٤٥).

– ماذا فعل أبيمالك ببرج شكيم الذي احتمى فيه ألف رجل وامرأة؟!

"أحرق عليهم الصرح بالنار. فمات جميع أهل برج شكيم نحو ألف رجل وامرأة" (قض٩: ٤٨، ٤٩).

– ماذا فعل يفتاح بسبط أفرايم الذي عاتبه بشدة لأنه لم يأخذهم لحرب بني عمون؟! ذبح منهم ٤٢ ألفًا، فكل من كان يقول "سِبُّولت" بدلًا من "شِبُّولت" كانوا يذبحونه على مخاوض الأردن، حتى فاض النهر دمًا.. فمن رأى وحشية مثل هذه؟!

– ماذا حدث لسبط بنيامين الذي دافع عن أهل جبعة الذين اغتصبوا سرية اللاوي..؟! نشبت الحرب بينهم وبين بقية الأسباط، فقتلوا من الأسباط في يومين أربعين ألفًا، وفي اليوم الثالث أبادت الأسباط السبط بالكامل ٢٥ ألفًا، لم يتبقى من السبط رجال ونساء وأطفال وشيوخ غير ستمائة رجلًا "حتى البهائم أحرقوها بالنار" (قض٢٠: ٢٨).

لقد كان قلب الإنسان غليظًا يعيش بروح العبودية، أما نحن الآن في عصر النعمة، وقد استنار ذهن الإنسان بمعرفة الروح القدس، وأيقن أن نهاية الشر هي الهلاك والدمار والموت الأبدي.

(١٣) كان الرب يعيدهم إلى أرضهم:

إن من يدرس تاريخ أرض كنعان سيجد أنها الأرض التي أعطاها الرب لإبراهيم ونسله قبل هذه الحروب بمئات السنين. فعندما

[٢٢] دونالد ريدفورد – ترجمة بيومي قنديل – مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة. ص ١٦٣.

خرج أبونا إبراهيم من وسط أهله وعشيرته طاعة لدعوة الرب له، ذهب إليها وعاش فيها إلى أن مات ودُفِن هناك هو وسَارَةَ امْرَأَتَهُ فنقرأ:

"وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ.. إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ... فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا.. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ" (تك١٢: ١-٥).

"أَبْرَامُ سَكَنَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ" (تك١٣: ٥)

راجع: (تك١٧: ١-٨)، (تك٢٣: ١٩)

وهناك عاش إسحاق ورفقة إلى أن ماتا ودفنا هناك.

وعاش أبونا يعقوب فترة طويلة من حياته قبل أن يذهب إلى مصر "وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ غُرْبَةِ أَبِيهِ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ" (تك٣٧: ١-٣).

وقبل أن يموت أوصى أولاده قائلًا:

"اِدْفِنُونِي عِنْدَ آبَائِي.. فِي الْمَغَارَةِ الَّتِي فِي حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ، الَّتِي أَمَامَ مَمْرَا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ... هُنَاكَ دَفَنُوا إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةَ امْرَأَتَهُ. هُنَاكَ دَفَنُوا إِسْحَاقَ وَرِفْقَةَ امْرَأَتَهُ، وَهُنَاكَ دَفَنْتُ لَيْئَةَ" (تك٤٩: ٢٩-٣١).

لأنه كان يدرك أن هذه الأرض هي الأرض التي أعطاها الرب له ولنسله، فقال ليوسف ابنه:

"اللهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرَ لِي فِي لُوزَ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَبَارَكَنِي. ٤وَقَالَ لِي: هَا أَنَا أَجْعَلُكَ مُثْمِرًا وَأُكَثِّرُكَ، وَأَجْعَلُكَ جُمْهُورًا مِنَ الأُمَمِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ هذِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِكَ مُلْكًا أَبَدِيًّا" (تك٤٨: ٣-٤).

(١٤) قضية قتل الأطفال الأبرياء:

أختم بقضية قتل الأطفال وهي قضية حساسة جدًا، فكثيرون يسألون ما ذنب الأطفال الأبرياء؟

وأنا أريدك أن تتخيل معي؛ ماذا لو أن الله عاقب والديهم فقط؟ كانوا سيعيشون أيتام في بؤس وشقاء بلا عائل، وربما يكبرون مثل والديهم تمامًا.

وتخيل معي؛ ماذا لو أن الله لم يعاقب هذه الشعوب؟ ماذا سيكون مصير هؤلاء الأطفال؟ أقول إن هؤلاء الأطفال ربما كانت نهايتهم الحرق بتقديمهم ذبائح بشرية للآلهة الوثنية، وإن نجوا من هذا، كانوا سيكبرون على الشر والفساد مثل آبائهم، وتكون نهايتهم العذاب الأبدي في جهنم النار، ولهذا فإن إنهاء حياتهم في مرحلة الطفولة رغم صعوبته جدًا فإنه ينقذهم من هذا وذاك، فهم كأطفال إرادتهم قاصرة لا يُعاقبون بالنار الأبدية، وقد قال المسيح: "دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت١٩: ١٤).

هذا إلى جانب أن كل من يقع في دائرة مسؤوليتي يتأثر إما سلبًا أو إيجابًا بقراراتي وتصرفاتي وأفعالي.

فمثلًا لو إنني اجتهدت ودرست وحصلت على فرصة عمل رائعة بمرتب كبير، سيعيش أولادي حياة كريمة دون فضل منهم.

ولو إنني تكاسلت وأهملت وانحرفت إلى الإدمان ودخلت السجن، لن يحصد أولادي سوى العار والسمعة السيئة دون ذنب منهم.

لذلك لا يجب أن نسأل: ما هو ذنب هؤلاء الأطفال الأبرياء؟!

فهذه نتائج طبيعيّة لأفعال الوالدين.